صور من

وصايا الأنبياء

والخلفاء والعلماء والآباء والصحابة والتابعين

عند الموت

جمع وترتيب وتعليق
السيد مراد سلامة

دار الإيمان
الإسكندرية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صور من

وصايا الأنبياء

والخلفاء والعلماء والآباء والصحابة والتابعين

عند الموت

جمع وترتيب أبو همام

السيد مراد سلامة

عفا الله عنه

دار الأيمان
للطبع والنشر والتوزيع
الإسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
للتوزيع الكتاب والشرائط والتسجيلات
فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم

محفوظة
جميع الحقوق

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

رقم الإيداع ١٠٢٠١ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-221-7

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المقدمة:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران : 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70، 71]، أما بعـد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثـم أما بعـد:

أخي المسلم:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ مَالٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ فَوْقَ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ[1].

وانطلاقًا من هذا الحديث الشريف جاءت وصايا الأنبياء والرسل لأُممهم تدعوهم إلى التمسك بالعروة الوثقى، وجاءت وصايا الخلفاء لرعيتهم، وجاءت وصايا الآباء لأبنائهم تدعوهم إلى تقوى الله والاستعداد ليوم المعاد، جاءت هذه الوصايا في تلك الساعة الفاصلة بين الدنيا والأخرة.

تلك الساعة التي يرى العبد الدنيا وقد ولَّت مدبرة، ويرى الآخرة وقد أقبلت نحوه مسرعة.

تلك الساعة التي يؤمن فيها الكافر ويوقن فيها الفاجر، ويُصدق فيها الكاذب.

تلك الساعة التي يفارق فيها العبد أبناءه ونساءه وإخوانه.

تلك الساعة التي يقول فيها صاحب المال والسلطان: "يا من لا يزول ملكه، ارحم من قد زال ملكه"، فعندما تصدر الوصية من العبد تكون خالصة لوجه الله، لا يريد بها العبد إلا الإصلاح، فهي خلاصة تجربة الحياة التي عاشها ونتيجة الأعمال التي قدمها، لذا ترى تلك الوصايا داعية إلى الاعتصام بالله، والتمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والتحذير من المعصية والبدعة والاختلاف. وها هي صور من وصايا الأنبياء ومَن تَبِعهم بإحسان إلى يوم الدين، جمعتها بين يديك؛ لتكون زادك إلى الله، ولتكون زادك إلى الآخرة، فإياك إياك عبد الله أن تكون من الغافلين؛ يقول لقمان لابنه: أمر لا تدري متى يلقاك، استعد له قبل أن يفجأَك،

---

(1) - البخاري (3 / 1005، رقم 2587)، ومسلم (3 / 1249، رقم 1627).

وقال بعض الحكماء: "كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك".

هذا وقد اشتمل الكتاب على الأبواب الآتية:

الباب الأول: من وصايا الأنبياء والرسل.

الباب الثاني: صور من وصايا ممن كان قبلنا.

الباب الثالث: من وصايا الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

الباب الرابع: من وصايا التابعين.

الباب الخامس: كيف تكتب وصيتك؟

الباب السادس: رصيدك بعد موتك.

الباب السابع: وصايا نبوية متعلقة بالموت.

الباب الثامن: وصيتي إليك.

الباب التاسع: من وصايا حكماء الجاهلية.

فاللهم اجعل عملي هذا خالصًا لوجهك الكريم، اللهم تقبَّله، واجعله زادًا لي وللمؤمنين والمؤمنات.

جمع وترتيب

أبو همام

الشيخ السيد مراد سلامة

إمام وخطيب ومدرس بوزارة الأوقاف المصرية

الباب الأول: من وصايا الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

أولًا: وصية نوح عليه السلام:

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وُضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ، فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ، لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ»[1].

---

(1) مسند أحمد ط الرسالة (11/ 151)، إسناده صحيح، الصقعب بن زهير روى عنه جمع، ووثقه أبو زرعة، وذكره ابن حبان في "الثقات"، وقال أبو حاتم: شيخ ليس بالمشهور، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وأخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (548)؛ انظر الصحيحة: 134، صحيح الأدب المفرد: 426، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ثانيًا: وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام:

يقول الله سبحانه وتعالى: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (132) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 131 -133].

ولنا أن نستشعر هذه الوصية المباركة، وأنها نعمة تستوجب الشكر في كلام يوسف الصديق عليه السلام في قوله: {مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [يوسف: 38].

فسمى يوسف عليه السلام التوحيد نعمة تستوجب شكر المنعم بها، فالحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، وهي أعظم ما يوصى به، ولهذا من كان آخر كلامه: (لا إله إلا الله، دخل الجنة، فاللهم إنا نسألك من فضلك[1].

ثالثًا: وصايا النبي صلى الله عليه وسلم عند الموت:

الوصية الأولى: مخالفة اليهود والنصارى والتحذير من اتخاذ القبور مساجد:

عن عَائِشَةَ وَعَبْدَ الله بْنَ عَبَّاسٍ قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ وَهُوَ كَذَلِكَ: «لَعْنَةُ الله عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ أُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» قَالَ عُرْوَةُ عَنْهَا: وَلَوْلاَ ذَلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ، غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا[2].

---

(1) بتصرف من تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي رحمه الله، (ط مؤسسة الرسالة ص 353.

(2) أخرجه الدارمي (1410)، والبخاري (118/1).

عن عَائِشَةَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، قَالاَ: لَمَّا نَزَلَ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمَّ بِهَا كَشَفَهَا عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ، وَهُوَ كَذَلِكَ: لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا[1].

الوصية الثانية: الوصية بالصلاة:

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ: «الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى مَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[2].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كَانَتْ آخِرُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُغَرْغِرُ بِهَا فِي صَدْرِهِ فَلَا يَكَادُ يُفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ: «الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»[3].

الوصية الثالثة: أوصى بعدم قراءة القران في الركوع والسجود:

الوصية الثالثة له صلى الله عليه وسلم انه وأوصانا بعدم قراءة القران في الركوع والسجود: فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ كَشَفَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ قَمِنٌ [4] أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ[5].

---

(1) -أخرجه البخاري في: 8 كتاب الصلاة: 55.

(2) -مسند أحمد ط الرسالة (44/ 85) وأخرجه أبو يعلى (6936).

(3) - تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (1/ 332).

(4) - أجدر أن يُستجاب لكم.

(5) – أخرجه مسلم، 1/ 348.

الوصية الرابعة إنفاذ بث أسامة رضي الله عنه:

استبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس في بعث أسامة رضي الله عنه وهو في وجعه، فخرج عاصبًا رأسه حتى جلس على المنبر، وكان المنافقون قد قالوا في إمارة أسامة: أمَّر غلامًا حدثًا على جلة المهاجرين والأنصار، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا، وخرج عاصبًا رأسه - وكان قد بدأ به الوجع - فصعد المنبر، "فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، أنفِذوا بعث أسامة، فلئن طعنتم في إمارته فقد طعنتم في إمارة أبيه، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان أبوه لمن أحب الناس إليَّ، وإن هذا لمن أحب الناس إليَّ من بعده"، ثم نزل.

وانكمش الناس في جهازهم، فاشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، وخرج أسامة بجيشه، فعسكر بالجرف، وتتام إليه الناس، فأقاموا لينظروا ما الله تبارك وتعالى قاض في رسوله صلى الله عليه وسلم.

الوصية الخامسة إخراج المشركين من جزيرة العرب:

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَوْمُ الخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الخَمِيسِ؟ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَجَعُهُ، فَقَالَ: «ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»، فَتَنَازَعُوا وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ، أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ؟ فَذَهَبُوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ»، وَأَوْصَاهُمْ بِثَلاَثٍ، قَالَ: «أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ» وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ أَوْ قَالَ فَنَسِيتُهَا"[1].

---

(1) - أخرجه عبد الرزاق (9992)، والحميدي (526)، وابن سعد 242/2، والبخاري (3053) و(3168)، و(4431)، ومسلم (1637) (20)، وأبو داود (3029).

الوصية السادسة: إن الأنبياء لا يورَّثون وإن ما تركوه صدقة:

عَنْ جُوَيْرِيَةَ قَالَتْ: «وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أَمَةً إِلَّا بَغْلَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً»[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا يَقْسِمُ وَرَثَتِي بَعْدِي دِينَارًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدَ نَفَقَةِ عِيَالِي، وَمَئُونَةِ عَامِلِي صَدَقَةٌ»[2].

لذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي مات فيه أن تتصدق عائشة بما عندها من ذهب؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: "يَا عَائِشَةُ، مَا فَعَلَتِ الذَّهَبُ"، فَجَاءَتْ مَا بَيْنَ الْخَمْسَةِ إِلى السَّبْعَةِ، أَوِ الثَّمَانِيَةِ، أَوِ تِسْعَةٍ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُهَا بِيَدِهِ " وَيَقُولُ: " مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ لَقِيَهُ، وَهَذِهِ عِنْدَهُ أَنْفِقِيهَا"[3].

الوصية الثامنة: الوصية بالأنصار رضي الله عنهم:

عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ، وَالعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ المِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ اليَوْمِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضَوُا الَّذِي عَلَيْهِمْ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ» [4]

---

(1) - أخرجه البخاري 2/4 (2739).

(2) - أخرجه الحميدي (1134)، ومسلم (1760).

(3) - مسند أحمد ط الرسالة (40/ 270)، وأخرجه الحميدي (283).

(4) - أخرجه البخاري (1383/3، رقم 3588).

الوصية الثامنة: لأبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقِيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ»[1].

الوصية التاسعة أوصى عثمان بالصبر على البلاء:

ومن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أوصى عثمان بالصبر على البلاء الذي سيُصيبه، وألا يتنازل عن الخلافة؛ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: "وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أَصْحَابِي، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ فَسَكَتَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نَدْعُو لَكَ عُمَرَ فَسَكَتَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَدْعُو لَكَ عَلِيًّا فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى عُثْمَانَ فَجَاءَ فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ، وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، قَالَ قَيْسٌ: فَحَدَّثَنِي أَبُو سَهْلَةَ أَنَّ عُثْمَانَ قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ، قَالَ قَيْسٌ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنه ذَلِك الْيَوْم"[2].

---

(1) - مسلم (4/ 1854) 44 - كتاب فضائل الصحابة - 1 - باب من فضائل أبي بكر الصديق، رضي الله عنه،

الخوخة: منفذ يكون بين منزلين يجعل عليه باب.

(2) أخرجه ابن ماجه (113)، وابن حبان (6918).

الوصية العاشرة الزهد في الدنيا:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَلَّى عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ، وَإِنِّي عَلَيْكُمْ لَشَهِيدٌ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ اللَّيْلَةَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»، ثُمَّ دَخَلَ فَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَكَانَتْ آخِرُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا[1].

الباب الثاني: صور من وصايا ممن كان قبلنا:

وصية رجل ممن كان قبلنا رحمه الله:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ - أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالَ: كَلِمَةً: يَعْنِي - أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا، فَلَمَّا حَضَرَتِ الوَفَاةُ، قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ - أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ - عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي - أَوْ قَالَ: فَاسْحَكُونِي - فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا، فَقَالَ: نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا، ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُنْ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، قَالَ اللَّهُ: أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ - أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - قَالَ: فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا.

---

(1) صحيح ابن حبان محققًا (14/ 560) إسناده صحيح.

وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى: «فَمَا تَلاَفَاهُ غَيْرُهَا»» فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا عُثْمَانَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ هَذَا مِنْ سَلْمَانَ غَيْرَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ: «أَذْرُونِي فِي البَحْرِ»» أَوْ كَمَا حَدَّثَ[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا "، قَالَ: " فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ أَوْ مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ، فَغَفَرَ لَهُ لِذَلِكَ[2].

****

وصية رجل آخر ممن كان قبلنا:

قال ابن الجوزي رحمه الله: وروينا أن داود عليه السلام رأى راهبًا في قلة جبل، فصاح به: يا راهب، مَن أنيسك؟ فقال: اصعَد تَرَه، فصعد داود، فإذا ميت مسجَّى، قال: من هذا؟ قال: قصته مكتوبة عند رأسه، فدنا داود عليه السلام، فإذا عند رأسه لوح عليه مكتوب، فقرأه فإذا فيه أنا فلان بن فلان، ملك الأملاك، عشت ألف عام، وبنيت ألف مدينة، وهزمت ألف عسكر، وأحصَنت ألف امرأة، وافتضضت ألف عذراء، فبينما أنا في ملكي أتاني ملك الموت، فأخرجني مما أنا فيه، أنذا التراب فراشي والدود جيراني، قال: فخرَّ داود مغشيًّا عليه[3].

---

(1) -وأخرجه البخاري (6481) و(7508)، ومسلم (2757) (28).

(2) -أخرجه أحمد (269/2، رقم 7635)، والبخاري (1283/3، رقم 3294)، ومسلم (2110/4، رقم 2756)

(3) - التبصرة ـ لابن الجوزي (ص: 277)

وصية ذي القرنين عليه السلام:

قال ابن الجوزي رحمه الله: ثم إن ذا القرنين لما عاد بلغ بابل، فنزل به الموت، فكتب إلى أمه يعزيها عن نفسه، وكان في كتابه اصنعي طعامًا واجمعي من قدرت عليه من أبناء المملكة، ولا يأكل من طعامك من أُصيب بمصيبة، ففعلت فلم يأكل أحد، فعلمت ما أراد، فلما وصل تابوته إليها، قالت: يا ذا الذي بلغت السماء حكمته، وجاز أقطار الأرض ملكه، ما لك اليوم نائم لا تستيقظ، وساكت لا تتكلم، من يبلغك عني أنك وعظتني فاتعظت، وعزَّيتني فتعزيت، فعليك السلام حيًّا وميتًا[1].

وصية بهرام ملك فارس:

قال ابن الجوزي رحمه الله: عن جرير بن عبد الله، قال: افتتحنا بفارس مدينة، فدللنا على مغارة ذكر لنا أن فيها أموالًا، فدخلناها ومعنا من يقرأ بالفارسية، فأصبنا في تلك المغارة من السلاح والأموال شيئًا كثيرًا، ثم صرنا إلى بيت يشبه الأزج عليه صخرة عظيمة، فقلبناها وإذا في الأزج سرير من ذهب عليه رجل، وعليه حلل قد تمزقت، وعند رأسه لوح فيه مكتوب، فقرئ لنا، فإذا فيه أيها العبد المملوك لا تتجبر على خالقك، ولا تعد قدرك التي جعل الله لك، واعلم أن الموت غايتك وإن طال عمرك، وأن الحساب أمامك وأنك إلى مدة معلومة تترك، ثم تؤخذ بغتة أحب ما كانت الدنيا إليك، فقدم لنفسك خيرًا تجده محضرًا، وتزود لنفسك من متاع الغرور ليوم فاقتك، أيها العبد الضعيف اعتبر بي، فإن في معتبرًا، أنا بهرام بن بهرام ملك فارس، كنت من أعلاهم بطشًا وأقساهم قلبًا وأطولهم أملًا، وأرغبهم في اللذة، وأحرصهم على جمع الدنيا، قد جبيت البلاد النائية، وقتلت الملوك الساطية، وهزمت الجيوش العظام، وعشت خمسمائة عام،

---

(1) -التبصرة (ص 143).

وجمعت من الدنيا ما لم يجمعه أحد قبلي، فلم أستطع أن أفتدي نفسي من الموت إذ نزل بي[1].

الباب الثالث: صور من وصايا الصحابة رضي الله عنهم أجمعين:

وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

الوصية الأولى لأبي بكر رضي الله عنه: أخرج الواقدي من طرق أن أبا بكر لما ثقل دعا عبد الرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر بن الخطاب؟ فقال: ما تسألني عن أمر إلا وأنت أعلم به مني، فقال أبو بكر: وإن، فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه، ثم دعا عثمان بن عفان فقال: أخبرني عن عمر؟ فقال: أنت أخبرنا به، فقال: على ذلك، فقال: اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، وشاور معهما سعيد بن زيد، وأسيد بن الحضير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أسيد: اللهم أعلمه الخير بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط، الذي يسر خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه، ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟ فقال أبو بكر: بالله تخوفني؟ أقول: اللهم إني استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عني ما قلت من وراءك، ثم دعا عثمان فقال: اكتب: [بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجًا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلًا فيها؛ حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيرًا، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه وإن بدَّل فلكل امرئ ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب، وسيعلم الذين ظلموا أي

---

(1) -التبصرة (ص277).

منقلب ينقلبون، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته]، ثم أمر بالكتاب فختمه، ثم أمر عثمان، فخرج بالكتاب مختومًا، فبايع الناس ورضوا به، ثم دعا أبو بكر عمر خاليًا، فأوصاه بما أوصاه، ثم خرج من عنده، فرفع أبو بكر يديه، وقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم بما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيًا، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم، وأحرصهم على ما أرشدهم، وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك، أصلح اللهم ولاتهم، واجعله من خلفائك الراشدين، وأصلح له رعيته[1].

الوصية الثانية: لأبي بكر رضي الله عنه:

عن أسير قال: قال سلمان: دخلت على أبي بكر في مرضه، فقلت يا خليفة رسول الله، اعهد إلي عهدًا، فإني لا أراك تعهد إليَّ بعد يومك هذا شيئًا، قال: أجل يا سلمان، إنها ستكون فتوح فلا أعرفنَّ ما كان من حظِّك مَا جَعَلْتَ في بطنك وألقيته على ظهرك، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس، فإنه يصبح في ذمة الله، فلا تقتُلنَّ أحدًا من أهل ذمة الله، فيطلبك الله بذمته، فيكبَّك على وجهك في النار[2].

(1) -تاريخ الخلفاء (ص 49)

(2) -المحتضرين (ص 53).

الوصية الثالثة: لأبي بكر رضي الله عنه:

عن البهي قال: لَما احتُضر أبو بكر جاءت عائشة، فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى = إذا حشرجت يومًا وضاق به الصدر

فكشف عن وجهه فقال: ليس كذاك، ولكن قولي: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: 19]، انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما، فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت[1].

عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت: لَما ثَقُل أبي قال: أيُّ يومٍ هو؟ قالوا: يوم الاثنين، قال: ففي أي يومٍ قُبض رسولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم؟ قالوا: فيه، قال: فأني أرجو ما بينه وبين الليل، قالت: وكان عليه ثوب به رَدْعٌ من مِشْقٍ، فقال: إذا مِتُّ، فاغسلوا ثوبيَّ هذين، أو ثوبي هذا، وضُمُّوا إليه ثوبَين جديدَين، فكفِّنوني في ثلاثة أثوابٍ، قالت: فقُلنا: ألا نجعلُها كلها جُددًا؟ قال: لا إنما هي للمهلة، فمات ليلة الثلاثاء؛ انفرد بإخراجه البخاري[2].

*****

وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قال عمر بن ميمون: قال عمر: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، ثم قال لابنه: يا عبد الله، انظر ما علي من الدين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوها، فقال: إن وفى مال آل عمر، فأده من أموالهم، وإلا فاسأل في بني عدي، فإن لم تف أموالهم، فاسأل في قريش، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل: يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه، فذهب إليها فقالت: كنت أريده -

---

(1) - المحتضرين (ص 51).

(2) - مسند أحمد (34186)، وصحيح البخاري (1387).

تعني المكان - لنفسي، ولأوثرنه اليوم على نفسي، فأتى عبد الله فقال: قد أذنت، فحمد الله تعالى وقيل له: أوص يا أمير المؤمنين واستخلف، قال: ما أرى أحدًا أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فسمى الستة وقال: يشهد عبد الله بن عمر معهم، وليس له من الأمر شيء، فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله من عجز ولا خيانة، ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله وأوصيه بالمهاجرين والأنصار، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا في مثل ذلك من الوصية، فلما توفي خرجنا به نمشي، فسلم عبد الله بن عمر، وقال: عمر يستأذن فقالت عائشة: أدخلوه فأدخل فوضع هناك مع صاحبيه[1].

وصية عثمان بن عفان رضي الله عنه:

عن العلاء بن الفضل عن أبيه قال: لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقًا مقفلًا، ففتحوه فوجدوا فيه حقة فيها ورقة مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان، بسم الله الرحمن الرحيم، عثمان بن عفان يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يخلف الميعاد، عليها يحيى وعليها يموت، وعليها يبعث إن شاء الله عز وجل[2].

---

(1) -تاريخ الخلفاء (ص 153-154).

(2) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 40).

وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

الوصية الأولى لعلي رضي الله عنه:

قال ابن كثير رحمه الله: وصورة الوصية: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، ثم إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، أوصيك يا حسن وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، فإني سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: "إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام"، انظروا إلى ذوي أرحامكم، فصِلوهم يهون الله عليكم الحساب، الله الله في الأيتام، فلا تعفوا أفواههم ولا يضيعن بحضرتكم، والله الله في جيرانكم، فإنهم وصية نبيكم صلى الله عليه وسلم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم، والله الله في القرآن، فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، والله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم، والله الله في بيت ربكم، فلا يخلونَّ منكم ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا، والله الله في شهر رمضان، فإن صيامه جنة من النار، والله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم، والله الله في الزكاة، فإنها تطفئ غضب الرب، والله الله في ذمة نبيكم، لا تظلمن بين ظهرانيكم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بهم، والله الله في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، والله الله فيما ملكت أيمانكم، فإن آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: "أوصيكم بالضعيفين، نسائكم وما ملكت أيمانكم"، الصلاة الصلاة، لا تخافن في الله لومة لائم، يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنًا كما أمركم الله، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولى الأمر شراركم، ثم

تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، واتقوا الله إن الله شديد العقاب، حفظكم الله من أهل بيت، وحفظ فيكم نبيكم، أستودعكم الله، وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله، ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله، حتى قبض في شهر رمضان[1].

الوصية الثانية: لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:

عن الشعبي قال: لما ضُرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الضربة، قال: ما فعل ضاربي، قالوا: قد أخذناه، قال أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي، فإن أنا عشت رأيت فيه رأيي، وإن أنا مت فاضربوه ضربة واحدة لا تزيدوه عليها.

ثم أوصى الحسن رضي الله عنه أن يغسله ولا يغالي في الكفن، إني سمعت رسول الله يقول:

لا تغلوا في الكفن فإنه يسلب سلبًا سريعًا، وامشوا بي بين المشيتين، لا تسرعوا بي ولا تبطؤوا، فإن كان خيرًا عجلتموني إليه، وان كان شرًّا ألقيتموني عن أكتافكم)[2].

وصية سمرة بن جندب رضي الله عنه:

عن سمرة بن جندب قال: هذه وصية سمرة إلى بنيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو، أما بعد ذلكم، فإني أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وتجتنبوا التي

---

(1) -البداية والنهاية (جـ 4 ص :427-428)

(2) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 41).

حرم الله عز وجل، وتسمعوا وتطيعوا لله عز وجل ورسوله وكتبه والخليفة الذي يقوم على أمر الله عز وجل وجميع المسلمين، أما بعد، فإن رسول الله كان يأمرنا أن يصلي أحدنا كل ليلة بعد الصلاة المكتوبة ما قل أو أكثر من الصلاة، ونجعلها وترًا، وكان يأمر أن نصلي أي ساعة شئنا من الليل والنهار، غير أنه أمرنا أن نتجنب طلوع الشمس وغروبها، وقال: إن الشيطان يغيب معها حين تغيب، ويطلع معها حين تطلع، وأمرنا أن نحافظ على الصلوات كلهن، وأوصانا بالصلاة الوسطى ونبأنا أنها صلاة العصر[1].

وصية خالد بن الوليد رضي الله عنه:

عن أبي وائل ثم شك حماد بعد في أبي وائل قال: لما احتضر خالد بن الوليد، قال لقد طلبت القتل مظانه فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس بترسي والسماء تهلبني، ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار، ثم قال: إذا أنا مت فأنظروا سلاحي وفرسي، فاجعلوها عدة في سبيل الله عز وجل[2].

لله درك يا خالد:

تسعون معركة مرت محجلة من بعد عشر بنان الفتح يحصيها

وخالد في سبيل الله مشعلها وخالد في سبيل الله مذكيها

وما أتى بلدة إلا سمعت بها الله أكبر تدوي في نواحيها

ما نازل الفرس إلا خاب نازلهم ولا رمى الروم إلا طاش راميها

---

(1) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 89) (م م)مختصر تاريخ دمشق (3/ 93).

(2) - مختصر تاريخ دمشق (8/ 24) مكارم الأخلاق (ص: 62).

وصية عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

عن عبادة بن محمد بن عبادة بن الصامت قال: لما حضرت عبادة بن الصامت الوفاة، قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن - يعني إلى الدار - ثم قال: اجمعوا لي أموالي وخدمي وجيراني ومن كان يدخل علي، فجمعوا له فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنه لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو والذي نفس عبادة بيده القصاص يوم القيامة، وأتحرج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك، إلا أقتص مني قبل أن تخرج نفسي، فقالوا: بل كنت والدًا وكنت مؤدبًا، قال: وما قال لخادم قط سوءًا، فقال: أغفرتم لي ما كان من ذلك، قالوا نعم، فقال اللهم أشهد، ثم قال أما الآن فاحفظوا وصيتي، أحرج على كل إنسان منكم يبكي، فإذا خرجت نفسي فتوضؤوا فأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم مسجدًا، فيصلي ثم ليستغفر لعبادة ولنفسه، فإن الله عز وجل قال: واستعينوا بالصبر والصلاة، ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تتبعوني نارًا، ولا تصبغوا علي أرجوان[1].

*****

الوصية الثانية لعبادة بن الصامت لابنه رضي الله عنه:

عن الوليد بن عبادة قال: دخلت على عبادة رضي الله عنه وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه أوصني، واجتهد لي، فقال أجلسوني، فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لم تُطعم الإِيمان ولم تبلغ حقَّ حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خيرُ القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنَّ أول ما خلق الله القلم، ثم قال له:

---

(1) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 48).

اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»، يا بني إنْ متَّ ولستَ على ذلك دخلت النار[1].

وصية عبد الله بن حرام رضي الله عنه:

عن جابر قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أراني إلا مقتولًا في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإني لا أترك بعدي أعز علي منك، غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن علي دينًا فاقضِ، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا فكان أول قتيل، فدَفنت معه آخر في قبره، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع آخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته، هنية غير أذنه.

وثبت في "الصحيحين" من حديث شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر أنه لما قتل أبوه، جعل يكشف عن الثوب ويبكي، فنهاه الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكيه أو لا تبكيه، لم تزل الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه، وفي رواية أن عمته هي الباكية»[2].

جابر بن عبد الله يقول: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد، لقيني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا جابر، ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟"، وقال يحيى في حديثه: فقال: يا جابر، ما لي أراك منكسرًا؟"، قال: يا رسول الله، استشهد أبي وترك عيالًا ودينًا، قال: "أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟"، قال: بلى يا رسول الله، قال: "ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وكلم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدي، تمنَّ عليَّ أُعطك، قال: يا رب، تحييني فأقتل فيك ثانية، فقال الرب سبحانه: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي،

---

(1) - حياة الصحابة (4/ 42)

(2) - البداية والنهاية ط هجر (5/ 438)

قال: فأنزل الله تعالى: {وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [آل عمران: 169][1].

وصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

عن عبد الله بن بكر السهمي قال: حدثني ثمامة بن كلثوم أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال: «أيها الناس، إني من زرع قد استحصد، وإني قد وليتكم، ولن يليكم بعدي إلا من هو شر مني، كما كان قبلي خير مني، ويا يزيد إذا وفى أجلي فول غسلي رجلًا لبيبًا، فإن اللبيب من الله بمكان، فلينعم الغسل، وليجهر بالتكبير، ثم اعمد إلى منديل في الخزانة فيه ثوب من ثياب النبي صلى الله عليه وسلم، وقراضة من شعره وأظفاره، فاستودع القراضة أنفي وفمي وأذني وعيني، واجعل الثوب يلي جلدي دون أكفاني، ويا يزيد احفظ وصية الله في الوالدين، فإذا أدرجتموني في جريدتي، ووضعتموني في حفرتي، فخلوا معاوية وأرحم الراحمين»[2].

وصية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه:

عن عبد العزيز بن أبي يحيى الزهري قال: لما حضرت عباس بن عبد المطلب الوفاة بعث إلى ابنه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، فقال له: «يا بني إني والله ما مت موتًا، ولكني فنيت فناءً، يا بني أحبب الله وطاعته حتى لا يكون شيء أحب إليك منه، ومن طاعته، وخف الله ومعصيته حتى لا يكون شيء أخوف إليك منه ومن معصيته، فإنك إذا أحببت الله وطاعته نفعك كل أحد، وإذا خفت الله ومعصيته لم تضر أحدًا استودعك الله»[3].

---

(1) - أخرجه الترمذي (230/5 رقم 3010.

(2) -كتاب المحضرين (ص68).

(3) - فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (2/ 945) المحتضرين (ص 215).

وصية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه:

شريح بن عبيد الحضرمي أن أبا مالك الأشعري لما حضرته الوفاة قال لأناس من الأشعريين: ليبلغ شاهدكم غائبكم، إني سمعت رسول الله يقول حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة[1].

وصية المثنى بن حارثة رضي الله عنه:

لما جرح المثنى بن حارثة في موقعة الجسر، وأحس بقرب الأجل، كتب وصيته لسعد بن أبي وقاص فقال فيها: (ألا يقاتل عدوه وعدوهم - يعني المسلمين - من أهل فارس، إذا استجمع أمرهم وملؤهم في عقر دارهم، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب، وأدنى مدرة من أرض العجم، فإن يظهر الله المسلمين عليهم، فلهم ما وراءهم، وإن تكن الأخرى فاؤوا إلى فئة، ثم يكونوا أعلم بسبيلهم، وأجرأ على أرضهم، إلى أن يرد الله الكرة عليهم، فلما انتهى إلى سعد رأي المثنى ووصيته ترحم عليه، وأمر المعني على عمله، وأوصى بأهل بيته خيرًا[2].

وصية أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه:

عن الحسن قال: لما حضرت أبا بكرة الوفاة، قال اكتبوا وصيتي فكتب الكاتب: هذا ما أوصى به أبو بكرة صاحب رسول الله، فقال أبو بكرة: أكتني عند الموت: امحُ هذا واكتب هذا، ما أوصى به نفيع الحبشي مولى رسول الله وهو يشهد أن الله عز وجل ربه، وأن محمدًا نبيه وأن الإسلام دينه، وأن الكعبة قبلته، وأنه يرجو من الله عز وجل ما يرجوه المعترفون بتوحيده المقرون بربو بيته، الموقنون بوعده

---

(1) -وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 74).

(2) - تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (3/ 490).

ووعيده، الخائفون من عذابه، المشفقون من عقابه، المؤملون لرحمته إنه أرحم الراحمين[1].

وصية سعيد بن العاص رضي الله عنه:

عبد الله بن زياد السحيمي حدثنا بعض شيوخنا قال: "لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة قال: يا بني، لا تفقدوا إخواني مني عندكم عين وجهي، أجروا عليهم ما كنت أجري، واصنعوا بهم ما كنت أصنع، ولا تلجؤوهم للطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه، وكَلَّ لسانه، وبدا الكلام في وجهه، اكفوهم مؤنة الطلب بالعطية قبل المسألة، فإني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشه ذاكرًا موضعًا لحاجته، فعدا بها عليكم لا أرى قضى حاجته عوضًا من بذل وجهه، فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة"[2].

وصية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه:

قال الزهري: أوصى عبد الرحمن بن عوف لمن بقي ممن شهد بدرًا أربع مائة دينار لكل رجل، وكانوا مائة، فأخذوها، وأخذ عثمان فيمن أخذ وهو خليفة، وأوصى بألف فرس في سبيل الله عز وجل[3].

عن الزهري: أن عبد الرحمن أوصى بألف فرس في سبيل الله[4]، وعن الزهري قال: أوصى عبد الرحمن بن عوف لمن شهد بدرًا، فوجدوا مائة، لكل رجل أربعمائة دينار، وأوصى بألف فرس في سبيل الله[1].

---

(1) - تهذيب الكمال (30/ 8) وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 55).

(2) - الإخوان لابن أبي الدنيا (ص: 223).

(3) - المجالسة وجواهر العلم (5/ 323).

(4) - سير أعلام النبلاء 1/ 90.

وصية الزبير بن العوام رضي الله عنه:

عن عبد الله بن الزبير، قال: لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني، فقمت إلى جنبه فقال: "يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لديني، أفترى يبقي ديننا من مالنا شيئًا؟ فقال: يا بني بعْ مالنا، فاقض ديني، وأوصى بالثلث، وثلثه لبنيه - يعني بني عبد الله بن الزبير - يقول: ثلث الثلث، فإن فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين شيء، فثلثه لولدك"، قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله، قد وازى بعض بني الزبير، خبيب، وعباد وله يومئذ تسعة بنين، وتسع بنات - قال عبد الله: فجعل يوصيني بدينه، ويقول: «يا بني إن عجزت عنه في شيء، فاستعن عليه مولاي»، قال: فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبتِ من مولاك؟ قال: «الله»، قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه، إلا قلت: يا مولى الزبير، اقضِ عنه دينه، فيقضيه[2].

وصية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

عن الشعبي قال لما حضر عبد الله بن مسعود الموت، دعا ابنه قال: يا عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، إني أوصيك بخمس خصال فأحفظهن عني:

الأولى: أظهر اليأس للناس فإن ذلك غنى فاضل.

الثانية: دع مطلب الحاجات إلى الناس فإن ذلك فقر حاضر.

الثالثة: دعْ ما تعتذر منه من الأمور ولا تعمل به.

الرابعة: إن استطعت ألا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل.

---

(1) - سير أعلام النبلاء 1/ 90.

(2) - أخرجه البخاري 4/106 (3129).

الخامسة: فإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع كأنك لا تصلي بعدها[1].

وصية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عن ابن شهاب الزهري أن سعد بن أبي وقاص لَما حضره الموت دعا بخلق[2] جبة له من صوف، فقال: «كفِّنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما كنت أخبأها لهذا اليوم»[3].

عن مصعب بن سعد قال: كان رأس أبي في حجري، وهو يقضي، فبكيت، فرفع رأسه إليَّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك، فقال: لا تبك، فإن الله لا يعذبني أبدًا، وإني من أهل الجنة[4].

*****

وصية سلمان الفارسي رضي الله عنه:

عن أنس قال: دخل سعد وابن مسعود على سلمان عند الموت، فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عهد عهده إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نحفظه، قال: "ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب"، وأما أنت يا سعد فاتَّق الله في حكمك إذا حكمت، وفي قسمك إذا قسمت، وعند همك إذا هممت، قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما نفيقة كانت عنده[5].

---

(1) - وصايا العلماء عند حضور الموت لابن زبر الربعي (ص: 51).

(2) - خلق: قديم، أو بالي.

(3) - أخرجه الحاكم "3/ 496"، والطبراني "316" في الكبير، وفيه انقطاع، فإن الزهري لم يسمع من سعد -رضي الله عنه.

(4) -حسن: وأخرجه ابن سعد "3/ 1/ 104" في طبقاته.

(5) -حديث صحيح. وأخرجه ابن ماجه (4104) في الزهد: باب الزهد في الدنيا.

وصية سعد بن الربيع رضي الله عنه:

عن يحيى بن سعيد قال لما كان يوم أحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر سعد بن الربيع الأنصاري، فقال رجل أنا يا رسول الله، فذهب الرجل بين القتلى فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك، فقال الرجل بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك، قال فاذهب إليه، فأقرئه مني السلام، وأخبره أني طعنت ثنتي عشرة طعنة، وأني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وواحد منهم حي[1].

وصية أبي هريرة رضي الله عنه:

عن أبي سلمة قال: دخلت على أبي هريرة وهو وجع شديد الوجع، فاحتضنته فقلت: اللهم اشف أبا هريرة، قال: "اللهم لا ترجعها، قالها مرتين، ثم قال: إن استطعت أن تموت فمت، فوالذي نفس أبي هريرة بيده ليأتين على الناس زمان يكون الموت أحب إلى أحدهم من الذهبة الحمراء، وليأتين على الناس زمان يمر الرجل على قبر أخيه المسلم، فيتمنى أنه صاحبه"[2].

وصية ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه:

عن عطاء الخراساني قال: حدثني ابنه ثابت بن قيس بن شماس قالت: لما نزلت: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2]، دخل أبوها بيته وأغلق عليه بابه، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، وأرسل إليه يسأله ما خبره؟ فقال: أنا رجل شديد الصوت، أخاف أن يكون قد حبط عملي

---

(1) -أخرجه مالك 2 / 21 في الجهاد: باب الترغيب في الجهاد.

(2) -الطبقات الكبرى ط العلمية (4/ 252) المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 205).

قال: لست منهم، بل تعيش بخير وتموت بخير، قال: ثم أنزل الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: 18].

فأغلق عليه بابه وطفق يبكي، ففقده النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه فأخبره، وقال يا رسول الله، إني أحب الجمال، وأحب أن أسود قومي، فقال لست منهم، بل تعيش حميدًا وتُقتل شهيدًا، وتدخل الجنة".

قالت: فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد إلى مسلمة، فلما التقوا انكشفوا، فقال ثابت وسالم مولى أبي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم حفر كل واحد منهما له حفرة، فثبتا وقاتَلا حتى قُتلا، وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين، فأخذها فبينا رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه، فقال له: إني أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم، فتضيعه، إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين، فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله، وقد كفا على الدرع برمة وفوق البرمة رحل، فإيت خالدًا فمُره أن يبعث إليَّ درعي فيأخذها، وإذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فقل له إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيق عتيق فلان، فأتى الرجل خالدًا فأخبره فبعث إلى الدرع، فأتى به وحدث أبا بكر رضي الله عنه برؤياه، فأجاز وصيته بعد موته قال: ولا نعلم أحدًا أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رضي الله عنه[1].

(1) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب (1/ 203).

وصية عبد الله بن الزبير رضي الله عنه:

عن مخرمة بن سليمان الوالبي، قال: دخل ابن الزبير على أمه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانهم، فقال: يا أمه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو، فامض له، فقد قتل عليه أصحابُك، ولا تمكِّن من رقبتك يتلعب بها غلمان أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا، فبئس العبد أنت! أهلكت نفسك، وأهلكت من قُتل معك، وإن قلت: كنت على حق، فلما وهن أصحابي ضعفت، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين، وكم خلودك في الدنيا! القتل أحسن، فدنا ابن الزبير، فقبل رأسها، وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيًا إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تُستحلَّ حُرَمُه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فزدتِني بصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أمه فإني مقتول من يومي هذا، فلا يشتد حزنك، وسلمى الأمر لله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عملًا بفاحشة، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عن عمالي فرضيت به بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربي، اللهم إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكن أقوله تعزية لأمي لتسلو عني، فقالت أمه: إني لأرجو من الله أن يكون عزائي فيك حسنًا إن تقدمتني، وإن تقدمتك ففي نفسي، أخرج حتى أنظر إلى ما يصير أمرك، قال: جزاك الله يا أمه خيرًا، فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد، فقالت: لا أدعه أبدًا، فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق، ثم قالت: اللهم ارحَم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في هواجر المدينة

ومكة، وبرِّه بأبيه وبي، اللهم قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين[1].

وصية قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه:

يقال: إنه لما حضرته الوفاة جلس حوله بنوه - وكانوا اثنين وثلاثين ذكرًا - فقال لهم: يا بني سودوا عليكم أكبركم تَخلفوا أباكم، ولا تسودوا أصغركم، فيزدري بكم أكفاؤكم، وعليكم بالمال واصطناعه، فإنه نعم ما يهبه الكريم، ويستغني به عن اللئيم، وإياكم ومسألة الناس، فإنها من أخس مكسبة الرجل، ولا تنوحوا علي، فإن رسول الله لم ينح عليه، ولا تدفنوني حيث يشعر بكر بن وائل، فإني كنت أعاديهم في الجاهلية.

وفيه يقول الشاعر:

عليك سلام الله قيس بن عاصم *** ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من أوليته منك منة ******** إذا ذكرت مثلتها تملأ الفما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ***** ولكنه بنيان قوم تهدَّما[2]

وصية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه:

عن الضحاك بن عبد الرحمن قال: لما حضرت أبا موسى الوفاة دعا فتيانه، فقال: "اذهبوا فاحفروا لي وأعمقوا، فإنه كان يستحب العمق، قال: فجاء الحفرة فقالوا: قد حفرنا فقال: اجلسوا بي، فوالذي نفسي بيده، إنها لإحدى المنزلتين، إما ليوسعنَّ قبري حتى تكون كل زاوية أربعين ذراعًا، وليفتحن لي باب من أبواب

---

(1) - تاريخ الطبري 6/ 188، 189، والكامل في التاريخ 4/ 352، 353، وانظر بعضه في: أنساب الأشراف 5/ 364، وتاريخ اليعقوبي 2/ 267.

(2) - الإصابة 3 / 253 والاستيعاب / على هامش الإصابة 3 / 234 ومسند أحمد 5 / 61.

الجنة، فلأنظرن إلى منزلي فيها وإلى أزواجي، وما أعد الله عز وجل لي فيها من النعيم، ثم لأنا أهدى إلى منزلي في الجنة مني اليوم إلى أهلي، وليصيبني من روحها وريحانها حتى أبعث، وإن كانت الأخرى، فليضيقنَّ علي قبري حتى تختلف فيه أضلاعي، حتى يكون أضيق من كذا وكذا، وليفتحن لي باب من أبواب جهنم، فلأنظرن إلى مقعدي، وإلى ما أعد الله عز وجل لي فيها من السلاسل والأغلال والقرناء، ثم لأنا إلى مقعدي من جهنم لأهدى مني اليوم إلى منزلي، ثم ليصيبني من سمومها وحميمها حتى أبعث"[1].

عن أبي بردة قال: لما حضر أبا موسى الوفاة قال يا بني، اذكروا صاحب الرغيف، قال كان رجل يتعبد في صومعة أراه قال سبعين سنة لا ينزل إلا في يوم واحد، قال فشبه أو شب الشيطان في عينه امرأة، فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال، قال ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائبًا، فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فآواه الليل إلى دكان كان عليه اثني عشر مسكينًا، فأدركه العياء فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثَمَّ راهب يبعث إليهم كل ليلة بأرغفة، فيعطي كل إنسان رغيفًا، فجاء صاحب الرغيف، فأعطى كل إنسان رغيفًا ومر على ذلك الرجل الذي خرج تائبًا، فظن أنه مسكين فأعطاه رغيفًا، فقال المتروك لصاحب الرغيف: ما لك لم تعطني رغيفي ما كان بك عنه غنى، فقال: أتراني أمسكته عنك، سل هل أعطيت أحدًا منكم رغيفين، قالوا لا، قال تراني أمسكته عنك، والله لا أعطيك الليلة شيئًا، فعمد التائب إلى الرغيف الذي دفعه إليه، فدفعه إلى الرجل الذي تُرك، فأصبح التائب ميتًا، قال فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي، فرجحت السبع الليالي، ثم وزنت السبع الليالي بالرغيف، فرجح الرغيف، فقال أبو موسى يا بني اذكروا صاحب الرغيف[2].

---

(1) - وصايا العلماء عند حضور الموت لابن زبر الربعي (ص: 61).

(2) - حلية الأولياء (1/ 263).

وصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

عن أبي وائل قال: لَما ثقل حذيفة أتاه أناس من بني عبس، فأخبرني خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حين دخلنا عليه جوف الليل، فقال لنا: أي ساعة هذه، قلنا جوف الليل أو آخر الليل، فقال أعوذ بالله من صباح إلى النار، ثم قال أجئتم معكم بأكفان، قلنا نعم، قال فلا تغالوا بأكفاني، فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير، فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرًا منها، وإلا يُسلب سلبًا[1].

وصية أبي الدرداء رضي الله عنه:

عن أم الدرداء أن أبا الدرداء لما احتُضر جعل يقول: من يعمل لمثل يومي هذا؟ من يعمل لمثل ساعتي هذه؟ من يعمل لمثل مضجعي هذا؟ ثم يقول: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ} [الأنعام: 110](2).

وصية عائشة رضي الله عنها:

وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحباتها، وصلى عليها أبو هريرة وكان خليفة مروان بالمدينة[3].

وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه:

عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال: لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة، بكى فقال له ابنه عبد الله: لِم تبكى؟ أجزعًا على الموت؟ فقال: لا والله ولكن مما بعد الموت، فقال له: قد كنت على خير، فجعل يذكره صحبة رسول الله وفتوح الشام، فقال عمرو: تركت أفضل من ذلك كله شهادة أن لا إله إلا الله، إني كنت

---

(1) - صفة الصفوة (1/ 615).

(2) - صفة الصفوة (1/ 642).

(3) - صفة الصفوة (2/ 38)

على ثلاثة أطباق ليس فيها طبق إلا عرفت نفسي فيه، كنت أول قريش كافرًا، وكنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلو مت حينئذ وجبت لي النار، فلما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أشد الناس حياءً منه، فما ملأت عيني من رسول الله، ولا راجعته فيما أريد حتى لحق بالله حياءً، فلو مت يومئذ قال الناس: هنيئًا لعمرو، أسلم وكان على خير فمات عليه، نرجو له الجنة، ثم تلبست بعد ذلك بالسلطان وأشياء، فلا أدري علي أم لي، فإذا مت فلا تبكين على باكية، ولا يتبعني مادح ولا نار، وشدوا علي إزاري فإني مخاصم، وشنُّوا علي التراب شنًّا، فإن جنبي الأيمن ليس أحق بالتراب من جنبي الأيسر، ولا تجعلن في قبري خشبة ولا حجرًا، وإذا واريتموني فاقعدوا عندي قدر نحر جزور أستأنس بكم[1].

وصية سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنه:

أخرج الترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحب الحسن والحسين، سبطان من الأسباط»[2].

ورى وابن سعد وصححه الألباني عن حذيفة قال: قال رسول الله: "أتاني جبريل فبشرني أن الحسن والحسن سيدا شباب أهل الجنة"[3].

يا دهر أف لك من خليل = كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل = والدهر لا يقنع بالبديل

---

(1) - البداية والنهاية ط الفكر (8/ 26)

(2) - أخرجه البخاري فى الأدب (133/1، رقم 364)، والترمذي (658/5، رقم 3775) وقال : حسن. وابن ماجه (51/1، رقم 144)

(3) - أخرجه أحمد (392/5، رقم 23378).

وإنما الأمر إلى الجليل = وكل حي سالك السبيل

قال: فأعادها مرتين أو ثلاثًا، ففهمت ما أراد، فخنقتني العبرة، فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي فقامت حاسرة حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة اليوم، ماتت أمي فاطمة، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمال الباقي، فنظر إليها وقال: يا أخية، لا يذهبن حلمك الشيطان. فقالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، استقتلت، ولطَمت وجهها، وشقَّت جيبَها، وخرَّت مغشيًّا عليها، فقام إليها فصب على وجهها الماء، وقال: يا أُخية، اتقي الله وتعزَّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأن أهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الخلق بقدرته، ويُميتهم بقهره وعزته، ويعيدهم فيعودون، وهو فرد وحده، واعلمي أن أبي خير مني وأمي خير مني، وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، ثم حرج عليها ألا تفعل شيئًا من هذا بعد مَهلكه، ثم أخذ بيدها فردها إلى عندي، ثم خرج إلى أصحابه، فأمرهم أن يقربوا بيوتهم بعضها من بعض، حتى تدخل الأطناب بعضها في بعض، وألا يجعلوا للعدو مخلصًا إليهم إلا من وجه واحد، وتكون البيوت عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم[1]،

ماذا تقولون إنْ قال النبي لكم: ماذا فعلتم وأنتم آخرُ الأمم؟

بِعتْرَتِي وبأهلي بعد مُفْتَقدِي = نِصْف أسارى ونصْفٌ ضُرِّجُوا بِدَم

ما كان هذا جزائي إذ نَصَحْتُ لكم = أن تخْلفوني بشَرٍّ في ذوي رَحِمِي[2].

---

(1) -البداية والنهاية (ج 4 ص 700-701)

(2) - مروج الذهب (1/ 377)

صور من وصايا التابعين عند الموت رحمهم الله:

وصية علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه:

قال أبو جعفر محمد بن علي: أوصاني أبي قال: لا تصحبن خمسةً ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريقٍ، قال: قلت: من هؤلاء الخمسة؟

قال: لا تصحبن فاسقًا فإنه بائعك بأكلةٍ فما دونها، قلت: يا أبه وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها، قلت: يا أبه ومن الثاني؟ قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه، قلت: يا أبه ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذابًا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد؛ قلت: يا أبه ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك؛ قلت: يا أبه ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحمٍ فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله عز وجل في ثلاثة مواضع[1].

وصية سعيد بن المسيب رحمه الله:

عن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه: "إياي وحاديهم هذا الذي حدوا لهم، هذا الذي يقول: استغفروا له، غفر الله لكم فأرادوا أن يحولوه إلى القبلة، فقال: ما لكم؟ قالوا: نحولك إلى القبلة، قال: ألم أكن على القبلة إلى يومي هذا؟ ما أرى هذا إلا عمل فلان"[2].

وقال رحمه الله: لا تؤذنوا بي أحد حسبي من يبلغني إلى ربي، لا يتبعني راجزهم هذا، وألا يمشوا معي بمجمر، فإن أك طيبًا فما عند الله أطيب"، وقال رحمه الله:

---

(1) -صفة الصفوة (ج1ص 301)

(2) - وصايا العلماء عند حضور الموت لابن زبر الربعي (ص: 78).

وأوصيت أهلي إذا حضرني الموت بثلاث: ألا يتبعني راجز، ولا نار، وأن يعجل بي، فإن يكن لي عند ربي خير فهو خير مما عندكم[1].

وصية علقمة بن قيس رحمه الله:

عن إبراهيم عن علقمة قال: لا تنعوني كنعي أهل الجاهلية، ولا تؤذنوا بي أحدًا، وأغلقوا الباب، ولا تتبعني امرأة، ولا تتبعوني بنار، وإن استطعتم أن يكون آخر كلامي لا إله إلا الله فافعلوا[2].

وصية عطاء بن أبي رباح رحمه الله:

عن ابن أبي حسين قال: لَما حضرت عطاء الوفاة صاحت النساء، فقال عطاء: "اكفني هؤلاء، فإن غلبوك فاستعن عليهن بالسلطان، ثم جعل يقول: يا صريخ الأخيار، يا صريخ الأخيار فلم يزل يقولها حتى قضى"[3].

وصية عمر بن عبد العزيز رحمه الله:

قال سفيان بن عيينة: قلت لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز: ما آخر ما تكلم به أبوك عند موته، فقال: كان له من الولد أنا، وعبد الله، وعاصم، وإبراهيم، وكنا أغيلمةً، فجئنا كالمسلمين، عليه والمودعين له، فقيل له: تركت ولدك ليس لهم مالٌ، ولم تؤوهم إلى أحد، فقال: ما كنت لأعطيهم ما ليس لهم، وما كنت لآخذ منهم حقًّا هو لهم، وإن وليي فيهم الله الذي يتولى الصالحين، وإنما هم أحد رجلين، رجلٌ صالح أو فاسق، وقيل إن الذي كلمه فيه خالهم مسلمة[4].

---

(1) -سكب العبرات (ج 1 ص :199).

(2) - حلية الأولياء (2/ 101).

(3) - المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 227).

(4) - تاريخ الإسلام للإمام الذهبي (7/ 203).

الوصية الثانية لعمر بن عبد العزيز رحمه الله:

عن عمرو بن قيس قال قالوا لعمر بن عبد العزيز لما حضره الموت: اعهد يا أمير المؤمنين، قال أحذركم مثل مصرعي هذا، فإنه لا بد لكم منه، وإذا وضعتموني في قبري، فانزعوا عني لبنة، ثم انظروا ما لحقني من دنياكم هذه[1].

الوصية الثالثة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله:

قال قتادة: كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولي العهد من بعده: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر إلى يزيد بن عبد الملك: سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإني كتبت وأنا دنف من وجعي، وقد علمت أني مسؤول عما وليت يحاسبني عليه مليك الدنيا والآخرة، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئًا، فإن رضي عني فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل، وإن سخط علي فيا ويح نفسي إلى ما أصير، أسأل الله لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته، وأن يمن علي برضوانه والجنة، فعليك بتقوى الله، الرعية الرعية، فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلًا، والسلام؛ أسند هذا كله أبو نعيم في الحلية.

توفي عمر رضي الله عنه بدير سمعان ـ بكسر السين ـ من أعمال حمص لعشر بقين ـ وقيل: لخمس بقين ـ من رجب سنة إحدى ومائة وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر، وكانت وفاته بالسم، كانت بنو أمية قد تبرموا به، لكونه شدد عليهم، وانتزع من أيديهم كثيرًا مما غصبوه، وكان قد أهمل التحرز، فسقوه السم.

قال مجاهد: قال لي عمر بن عبد العزيز: ما يقول الناس في؟ قلت: يقولون مسحور، قال: ما أنا بمسحور، وإني لأعلم الساعة التي سيقت فيها، ثم دعا غلامًا له فقال له: ويحك! ما حملك على أن تسقيني السم؟ قال: ألف دينار أُعطيتها

(1) - المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 82).

وعلى أن أُعتق، قال: هاتها قال: فجاء بها، فألقاها في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد[1].

وصية الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

وكتب الإمام أحمد وصيته: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به أحمد بن محمد بن حنبل، أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأوصى من أطاعه من أهله وقرابته أن يعبدوا الله في العابدين، وأن يحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لجماعة المسلمين، وأوصي أني قد رضيت الله ربًّا وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وأوصي لعبد لله بن محمد المعروف ببوران عليَّ نحوٌ من خمسين دينارًا هو مصدق فيها، فيقضي ماله علي من غلة الدار إن شاء الله، فإذا استوفى أعطى ولد صالح كل ذكر وأنثى عشرة دراهم.

ثم استدعى الصِّبيان من ورثته، فجعل يدعو لهم، وكان قد ولد له صبي قبل موته بخمسين يومًا فسماه سعيدًا، وكان له ولد آخر اسمه محمد قد مشى حين مرض، فدعاه فالتزمه وقبَّله، ثم قال: ما كنت أصنع بالولد على كبر السن؟ فقيل له: ذرية تكون بعدك يدعون لك، قال: وذاك إن حصل، وجعل يحمد الله تعالى، وقد بلغه في مرضه عن طاوس أنه كان يكره أنين المريض، فترك الأنين فلم يئن حتى كانت الليلة التي توفي في صبيحتها أنَّ، وكانت ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول من هذه السنة، فأنَّ حين اشتد به الوجع[2].

---

(1) - تاريخ الخلفاء (ص: 215)

(2) البداية والنهاية ط إحياء التراث (10/ 374).

وصية الخليفة المفتون بفتنة خلق القرآن المأمون:

قال ابن كثير رحمه الله:

وقد كان أوصى إلى أخيه المعتصم وكتب وصيته بحضرته وبحضرة ابنه العباس وجماعة القضاة والأمراء والوزراء والكتاب، وفيها القول بخلق القرآن ولم يتُب من ذلك، بل مات عليه وانقطع عمله وهو على ذلك، لم يرجع عنه ولم يتب منه، وأوصى أن يكبر عليه الذي يصلي عليه خمسًا، وأوصى المعتصم بتقوى الله عز وجل والرفق بالرعية، وأوصاه أن يعتقد ما كان يعتقده أخوه المأمون في القرآن، وأن يدعو الناس إلى ذلك، وأوصاه بعبد الله بن طاهر وأحمد بن إبراهيم وأحمد بن أبي دواد، وقال شاوره في أمورك ولا تفارقه، وإياك ويحيى بن أكثم أن تصحبه، ثم نهاه عنه وذمَّه، وقال: خانني ونفر الناس عني، ففارقته غير راض عنه، ثم أوصاه بالعلويين خيرًا، أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأن يواصلهم بصلاتهم في كل سنة[1].

وصية أبي حازم رحمه الله:

عن محمد بن مطرف قال: دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: كيف تجدك؟ قال: أجدني بخير راجيًا لله، حسن الظن به، إنه والله - ما يستوي من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه، فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت، حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له ومن غدا أو راح في عقد الدنيا، يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب[2].

---

(1) البداية والنهاية ط إحياء التراث (10/ 307).

(2) سير أعلام النبلاء ط الحديث (6/ 256).

وصية بشر بن الحارث الحافي رحمه الله:

عن محمد بن حفص جار بشر، قَالَ: دخلنا على بشر بن الحارث وهو مريض فقال له رجل:

أوصني، قَالَ: إذا دخلت على مريض فلا تطل القعود عنده[1].

****

وصية أم شبيب بن شيبة رحمه الله:

قال: نا شبيب بن شيبة، قال: "لما حضرت أمي الوفاة دعتني، فقالت: يا بني إذا دفنتني فقم عند قبري، فقل: يا أم شيبة قولي: لا إله إلا الله، فلما دفنتها اكتنفت القبر النساء، وكانت امرأة قد حضرت وصيتها معهنَّ، فقالت للنساء: تنحين فإن أمه قد أوصته بوصية، فجئت حتى قمت عند قبرها، فقلت: يا أم شيبة قولي: لا إله إلا الله، فلما كان من الليل أتتني في المنام، فقالت: يا بني، لقد حفظت وصيتي، فلولا أن تداركتني لقد كدت أهلك"[2].

وصية أبي العتاهية رحمه الله:

أوصى أبو العتاهية بكتابة هذه الأبيات على قبره:

أذن حي تسمعي اسمعي ثم عي وعي

أنا رهن بمضجعي فاحذري مثل مصرعي

عشت تسعين حجة ثم فارقت مجمعي

---

(1) - عن تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (2/ 284).

(2) - المنامات لابن أبي الدنيا (ص: 20).

ليس زاد سوى التقى فخذي منه أو دعي[1]

وصية العلاء بن اللجلاج رحمه الله:

قال عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: قال لي أبي يا بنى إذا أنا مت فضعني في اللحد، وقل بسم الله، وعلى سنة رسول الله، وسن علي التراب سنًّا، واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها، فإني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك[2].

*****

وصية عمر بن الحسين الجمحي رحمه الله:

مالك بن أنس قال: كان عمر بن حسين من أهل الفضل، والفقه، والمشورة في الأمور، والعبادة، وكانت القضاة تستشيره، قال مالك: ولقد أخبرني من حضره عند الموت، فسمعه يقول: {لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ} [الصافات: 61]، فقلت لمالك: أتراه قال هذا لشيء عاينه؟ قال: نعم"[3].

وصية مالك بن دينار رحمه الله:

حدثنا عمارة بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال: "لولا أني أكره أن أصنع شيئًا لم يصنعه أحد كان قبلي، لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن تقيدوني وأن تجمعوا يدي إلى عنقي، فينطلق بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع

---

(1) - تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (6/ 257).

(2) - تاريخ ابن معين - رواية الدوري (4/ 449).

(3) - المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 218).

بالعبد الآبق، وقال غير أحمد بن محمد: فإذا سألني ربي قلت: أي رب لم أرض لك نفسي طرفة عين قط[1].

وصية يونس بن عبيد رحمه الله:

عن حماد بن زيد قال: قال لنا يونس بن عبيد: احفظوا عنى ثلاثًا مت أو عشت، لا يدخلن أحدكم على سلطان يعظه، ولا يخلُ بامرأة شابة وإن أقرأها القرآن، ولا يمكِّن سمعه من ذي هوى[2].

وصية عطاء بن مسلم الخرساني رحمه الله:

عن يزيد بن يزيد بن جابر عن عطاء الخراساني أنه كان يوميًّا في حديثه يقول: إني لا أوصيكم بدنياكم، أنتم بها مستوصون وأنتم عليها حرَّاص، وإنما أوصيكم بآخرتكم، تعلمون أنه لن يعتق عبد وإن كان في الشرف والمال، وإن قال: أنا فلان بن فلان، حتى يعتقه الله تعالى من النار، فمن أعتقه الله من النار عتق، ومن لم يعتقه الله من النار، كان في أشد هلكة هلكها أحد قط، فجِدوا في دار العمل لدار الثواب، وجِدُّوا في دار الفناء لدار البقاء، فإنما سميت الدنيا لأنها أدنى فيها العمل، وإنما سميت الآخرة لأن كل شيء فيها مستأخر، ولأنها دار ثواب ليس فيها عمل، فألصقوا إلى الذنوب إذا أذنبتم، إلى كل ذنب: اللهم اغفر لي، فإنه التسليم لأمر الله، وألصقوا إلى الذنوب لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله رب العالمين، وسبحان الله وبحمده، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله وأتوب إليه، فإذا نُشرت الصحف وجاء هذا الكلام قد ألصقه كل عبد إلى خطاياه، رجا بهذا الكلام المغفرة، وأذهبت هذه الحسنات سيئاته، فإن الله تعالى يقول في كتابه: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ}

---

(1) - محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (ص: 123).

(2) - صفة الصفوة (3/ 307).

[هود: 114]، فمن خرج من الدنيا بحسنات وسيئات، رجا بها مغفرة لسيئاته، ومن أصر على الذنوب، واستكبر عن الاستغفار، خرج ذلك اليوم مصرًّا على الذنوب، مستكبرًا عن الاستغفار، قاصه الحساب وجازاه بعمله، إلا من تجاوز عنه المتجاوز الكريم، فإنه لذو مغفرة للناس على ظلمهم، وهو سريع الحساب، واجعلوا الدنيا كشيء فارقتموه، فوالله لتفارُقُنَّها، واجعلوا الموت كشيء ذقتموه، فوالله لتذوقُنَّه، واجعلوا الآخرة كشيء نزلتموه فوالله لتنزلُنَّها، وهي دار الناس كلهم ليس من الناس أحد يخرج لسفر إلا أخذ له أُهبته، وتجهز له بجهازه، وأخذ للحر ظلالة، وللعطش مزادًا، وللبرد لحافًا، فمن أخذ لسفره الذي يصلحه اغتبط، ومن خرج إلى سفر لم يتجهز له بجهازه، ولم يأخذ له أُهبته ندِم، فإذا أضحى لم يجد ظلًّا، وإذا ظمئ لم يجد ماءً يتروى به، وإذا وجد البرد لم يجد لذلك لحافًا، فلا أرى رجلًا أندم منه، وإنما هذا سفر الدنيا ينقطع عنه ولا يقيم فيه، فأكيسُ الناس من قام يتجهز لسفر لا ينقطع، فأخذ في الدنيا لظمأ لا يُروى، فمن آواه الله في ظل عرشه، لم يضحَ أبدًا، ومن أضحى يومئذ لم يستظل أبدًا، ومن قام فأخذ لري لم يعطش أبدًا، فإن من عطش يومئذ لم يروَ أبدًا، ومن قام فأخذ لكسوته لم يعرَ أبدًا، فإنه من عَرِيَ يومئذ لم يُكسَ أبدًا، لم يأت أحد من الناس ببراءتين واحدة منهما بعد هول المطلع، والثانية في القيام بين يدي الجبار تعالى، يقضي في رقاب خلقه ما يشاء لا شريك له[1].

وصية عابدة من عابدات الشام رحمه الله:

عن أحمد بن أبي الحواري، قال: بينا أنا يومًا في بعض بلاد الشام في قبَّةٍ في مقبرة، إذا بحائط القبَّة يدقُّ، فقلت: من هذا؟ قالت: امرأةٌ ضالَّةٌ، فدُلَّني على الطريق، قلت: عن أيِّ طريق تسألين؟ قالت: عن طريق النجاة، وبكت، فقلت:

---

(1) - حلية الأولياء (5/ 194/195).

هيهات هيهات، إنَّ بيننا وبينها عقابًا لا تقطع إلَّا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وقطع العلائق الشاغلة، قال: فبكت بكاءً شديدًا، ثم قالت: يا أحمد، سبحان من أمسكَ عليك جوارحَك فلم تتقطع، وحفظَ عليك فؤادك فلم ينصدع، ثم غُشي عليها، وكان هناك نساء، فقلت لبعضهنَّ: انظرن أي شيء حالُ هذه الجارية؟ فقمن إليها فحركنَها فإذا بها ميتة، وإذا في جيبها ورقةٌ، فقرأتُها، وإذا فيها مكتوب: كفنوني في أثوابي هذه، فإن كان لي عند الله خيرٌ، فسيبدلني خيرًا منها، وإنْ كان غير ذلك فيا شقوتي[1].

وصية الإمام بن جرير الطبري رحمه الله:

قال أبو محمد الفرغاني: حدثني أبو بكر الدينوري قال: لَما كان وقت صلاة الظهر من يوم الاثنين الذي توفي فيه في آخره ابن جرير طلب ماء ليجدد وضوءه، فقيل له: تؤخر الظهر تجمع بينها وبين العصر، فأبى وصلى الظهر مفردة، والعصر في وقتها أتم صلاة وأحسنها، وحضر وقت موته جماعة منهم: أبو بكر بن كامل، فقيل له قبل خروج روحه: يا أبا جعفر، أنت الحجة فيما بيننا وبين الله فيما ندين به، فهل من شيء توصينا به من أمر ديننا، وبينة لنا نرجو بها السلامة في معادنا؟ فقال: الذي أَدين الله به، وأُوصيكم هو ما ثبت في كتبي، فاعملوا به وعليه، وكلامًا هذا معناه، وأكثر من التشهد وذكر الله عز وجل، ومسح يده على وجهه، وغمض بصره بيده، وبسطها وقد فارقت روحه الدنيا[2].

---

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (15/ 169).

(2) سير أعلام النبلاء (14/ 276).

وصية جمال الدين التبريزي رحمه الله:

أخبرني بعض أصحابه أنه استدعاهم قبل موته بيوم واحد، وأوصاهم بتقوى الله، وقال لهم: إني أسافر عنكم غدًا إن شاء الله، وخليفتي عليكم الله الذي لا إله إلا هو، فلما صلى الظهر من الغد قبضه الله في آخر سجدة منها، ووجدوا في جانب الغار الذي كان يسكنه قبرًا محفورًا عليه الكفن والحنوط، فغسلوه وكفَّنوه وصلوا عليه ودفنوه به[1].

وصية إبراهيم أحد موالي الروم رحمه الله:

إبراهيم العالم العامل، المولى الأجل الكامل الحسيب النسيب السيد أحمد، أحد موالي الروم، كان والده من سادات العجم، رحل إلى الروم، وتوطن بقرية من قرى أماسية، يقال لها: قرية يكتجه، وكان من أكابر أولياء الله تعالى، قال: وقد ذهبت إليه في مرض موته، وهو قريب من الاحتضار ففتح عينيه، فقال: إن الله تعالى كريم لطيف شاهدت من كرمه ولطفه ما أعجز عن شكره، ثم اشتغل بنفسه ودعوت له، وذهبت ومات في تلك الليلة[2].

وصية محمد بن عمر المعلم رحمه الله:

كان السيد محمد عمر الملقب بالمعلم قد جمع ليلة وفاته جميع الأصحاب، وأوصى بما وردت به السنة والكتاب، وجعلهم عن يمينه وشماله، وأعلمهم بساعة انتقاله، وأمرهم بقراءة سور الإخلاص، وكرَّر هو سورة الإخلاص، ولم يزل يكرِّرها إلى أن فاضت روحه عند آخرها رحمه الله، وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وثمانمائة[3].

---

(1) - الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (2/ 149).

(2) - الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (2/ 85).

(3) -سكب العبرات 0ج 1ص 400-401).

وصية صالح بن مسمار رحمه الله:

قيل لصالح بن مسمار: ألا توصي بابنك وعيالك؟ فقال: إني لأستحيي من الله أن أوصي بهم غيره[1].

****

وصية أبي بكر الواسطي رحمه الله:

لَما احتُضر رحمه الله قيل له: أوصنا، فقال: احفظوا مراد الحق فيكم.

واحتُضر أحدهم فبكت امرأته، فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكي عليك، فقال: إن كنت باكية، فابكي على نفسك، فلقد بكيت على هذا اليوم أربعين سنة[2].

وصية داود بن أبي هند رحمه الله:

عن حماد قال: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به داود بن أبي هند: "أوصى بتقوى الله عز وجل، ولزوم طاعته، وطاعة رسوله، والرضا بقضائه، والتسليم لأمره، وأوصاهم بما أوصى به يعقوب بنيه: {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132]، وداود يشهد بما شهد الله عز وجل عليه وملائكته: أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، وبالجنة والنار وبالقدر كله، على ذلك يحيا، وعلى ذلك يموت إن شاء الله تعالى"[3].

---

(1) -سكب العبرات (ج1 ص 443).

(2) - سكب العبرات (ج1 ص 443).

(3) - وصايا العلماء عند حضور الموت لابن زبر الربعي (ص: 62).

وصية الإمام البخاري رحمه الله:

قال غالب بن جبريل وهو الذي نزل عليه أبو عبد الله، يقول: أقام أبو عبد الله عندنا أيامًا فمرض، واشتد به المرض حتى وجه رسولًا إلى سمرقند في إخراج محمد، فلما وافى تهيأ للركوب، فلبس خفَّيه وتعمم، فلما مشى قدر عشرين خطوة أو نحوها وأنا آخذ بعَضُدِه، ورجل آخر معي يقود الدابة ليركبها، فقال رحمه الله: أرسلوني فقد ضعفت، ودعا بدعوات، ثم اضطجع، فقضى رحمه الله، فسال منه من العرق شيء لا يوصف، فما سكن منه العرق إلى أن أدرجناه في ثيابه، وكان فيما قال لنا وأوصى إلينا أن: كفنوني في ثلاثة أثواب بيض، ليس فيها قميص ولا عمامة، ففعلنا ذلك، فلما دفناه فاح من تراب قبره رائحة غالية أطيب من المسك، فدام ذلك أيامًا، ثم علت سواري بيض في السماء مستطيلة بحذاء قبره، فجعل الناس يختلفون ويتعجبون، وأما التراب فإنهم كانوا يرفعون عن القبر، ولم نكن نقدر على حفظ القبر بالحراس، وغلبنا على أنفسنا، فنصبنا على القبر خشبًا مشبكًا لم يكن أحد يقدر على الوصول إلى القبر.

وأما ريح الطيب، فإنه تداوم أيامًا كثيرة، حتى تحدث أهل البلدة وتعجبوا من ذلك، وظهر عند مخالفيه أمره بعد وفاته، وخرج بعض مخالفيه إلى قبره، وأظهروا التوبة والندامة[1].

---

(1) - تاريخ الإسلام ط التوفيقية (19/ 194).

وصية أبي سهل كثير بن زياد البصري رحمه الله:

عن عبد الله بن شوذب قال: قيل لأبي سهل كثير البصري حين حضره الموت: أوصنا، قال: تبيعون دنياكم بآخرتكم تربحونها جميعًا، ولا تبيعون آخرتكم بدنياكم، فتخسرونها والله جميعًا.

وصية حميد بن عبد الرحمن الحميري رحمه الله:

عن حماد بن سلمة قال: قرأت في وصية حميد بن عبد الرحمن الحميري: أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى أهله من بعده أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، وألا يموتوا إلا وهم مسلمون[1].

وصية الإمام محمد بن سيرين رحمه الله:

عن أبن عون قال: أوصى ابن سيرين عند موته: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به محمد بن أبي عمرة بنيه وأهله أن اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، وأوصى كما أوصى يعقوب بنيه: {يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [البقرة: 132].

وأوصى ألا يرغبوا أن يكونوا موالي الأنصار وإخوانهم في الدين، وأن العفة والصدق خير وأبقى وأكرم من الرياء والكذب، وإن حدث لي في مرضي هذا، فلي أن أغير وصيتي هذه، ثم ذكر حاجته[2].

***

(1) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 89).

(2) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 90).

وصية ذي الإصبع لابنه رحمه الله:

قال أبو عمرو: لَما احتضر ذو الإصبع، دعا ابنه أسيدًا، فقال له: يا بني، إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: أَلِنْ جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم، ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحمِ حريمك، وأعزِز جارك، وأعِن مَن استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن لك أجلًا لا يعدوك، وصنْ وجهك عن مسألة أحد شيئًا، فبذلك يتم سؤددك[1].

وصية يزيد الرقاشي رحمه الله:

عن القزاز قال: لما احتضر يزيد الرقاشي بكى، فقيل له: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: "أبكي والله على ما يفوتني من قيام الليل، وصيام النهار، ثم بكى وقال: من يصلي لك يا يزيد؟ ومن يصوم؟ ومن يتقرب لك إلى الله بالأعمال بعدك؟ ومن يتوب لك إليه من الذنوب السالفة؟ ويحكم يا إخوتاه، لا تغترُنَّ بشبابكم، فكأن قد حل بكم ما حل بي من عظيم الأمر وشدة كرب الموت، النجاء النجاء، الحذر الحذر يا إخوتاه، المبادرة رحمكم الله"[2].

---

(1) - الأغاني (3/ 95).

(2) - المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 146).

وصية قاضي المدينة أبي طوالة رحمه الله:

عن عبيد بن أبي قرة قال: سمعت أبا عبد الرحمن العمري الزاهد يقول: جمع أبو طوالة عبد الرحمن بن عبد الله بن معمر بن حزم الأنصاري ولده عند موته، فقال: «يا بني، اتقوا الله، فإنكم إن اتقيتم الله، فأنتم مني على الصدر والنحر، وإن لم تتقوا لم أبال ما صنع الله بكم»[1].

*****

وصية أبي يعلى محمد بن السين الفراء رحمه الله:

كان من وصيته إليه أن يكفَّن في ثلاثة أثواب، وألا يدخل معه القبر غير ما غزله لنفسه من الأكفان، ولا يخرق عليه ثوب، ولا يقعد لعزاء، واجتمع له خلق لا يحصون، وعطلت الأسواق، ومشى مع جنازته القاضي أبو عبد الله الدامغاني، وجماعة الفقهاء والقضاة والشهود، ونقيب الهاشميين أبو الفوارس طراد، وأرباب الدولة، وأبو منصور بن يوسف، وأبو عبد الله بن جردة، وصلى عليه ابنه أبو القاسم عبيد الله وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة[2].

وصية أبي بكر بن حبيب رحمه الله:

لَما احتُضر قال له أصحابه: أوصنا، فقال: أُوصيكم بثلاث: بتقوى لله ومراقبته في الخلوة، واحذروا مصرعي هذا، عشت إحدى وستين سنة، وما كأني رأيت الدنيا، ثم قال لبعض أصحابه: انظر هل ترى جبيني يعرق، قال: نعم، فقال الحمد لله هذه علامة المؤمن، يريد بذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن

---

(1) - المحتضرين لابن أبي الدنيا (ص: 156).

(2) - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (16/ 99).

يموت بعرق الجبين، ثم بسط يده عند الموت وقال: ها قد مددت يدي إليك فردَّها، بالفضل لا بشماتة الأعداء.

وهذا البيت لأبي نصر القشيري تمثل به شيخنا هذا، وقال: أرى المشايخ بين أيديهم أطباق وهم ينتظرونني، ثم مات ليلة الأربعاء منتصف رمضان هذه السنة، ودُفن في رباطه، وجاء الغرق في سنة أربع وخمسين، فهدم تلك المحلة والرباط، وعفا أثر القبر[1].

وصية الإمام ابن الجوزي شيخ الوعاظ رحمه الله:

قال الذهبي رحمه الله: وأوصى أن يكتب على قبره:

يا كثيرَ العفو لمن كثرت الذنوب لديه = جاءك المذنبُ يرجو الصفح عن جُرم يديه

أنا ضيفٌ وجزاءُ الضيف إحسانٌ إليه[2]

وصية الإمام أبي محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله:

سمعت أبا موسى يقول: مرض أبي في ربيع الأول مرضًا شديدًا منعه من الكلام والقيام، واشتد ستة عشر يومًا، وكنت أسأله كثيرًا: ما يشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة، أشتهي رحمة الله، لا يزيد على ذلك، فجئته بماء حار، فمد يده، فوضَّأته وقت الفجر، فقال: يا عبد الله، قمْ صلِّ بنا، وخفِّف، فصليت بالجماعة، وصلى جالسًا، ثم جلست عند رأسه، فقال: اقرأ يس، فقرأتها، وجعل يدعو وأنا أؤمِّن، فقلت: هنا دواء تشربه، قال: يا بني، ما بقي إلا الموت، فقلت: ما تشتهي شيئًا؟ قال: أشتهي النظر إلى وجه الله سبحانه، فقلت: ما أنت عني راض؟ قال: بلى

---

(1) - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (17/ 318).

(2) - تاريخ الإسلام ت تدمري (42/ 296).

والله، فقلت: ما توصي بشيء؟ قال: ما لي على أحد شيء، ولا لأحد علي شيء، قلت: توصيني؟ قال: أوصيك بتقوى الله، والمحافظة على طاعته، فجاء جماعة يعودونه، فسلموا، فرد عليهم، وجعلوا يتحدثون، فقال: ما هذا؟ اذكروا الله، قولوا: لا إله إلا الله، فلما قاموا، جعل يذكر الله بشفتيه، ويشير بعينيه، فقمت لأناول رجلًا كتابًا من جانب المسجد، فرجعت وقد خرجت روحه رحمه الله وذلك يوم الاثنين، الثالث والعشرين من ربيع الأول، سنة ست مائة، وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع الخلق من الغد، فدفناه بالقرافة[1].

وصية أبي جعفر الهاشمي عبد الخالق بن عيسى العباسي رحمه الله:

قال ابن الجوزي: كان عالِمًا فقيهًا ورعًا عابدًا زاهدًا قولًا بالحق، لا يحابي ولا تأخذه في الله لائم، فلما اشتدَّ مرضه تحامل بين اثنين، ومضى إلى باب الحجرة، وقال: قد جاء الموت ودنا الوقت، وما أحب أن أموت إلا في بيتي بين أهلي، فأذن له فمضى إلى بيت أخته بالحريم الظاهري، وقرأت بخط أبي على بن البناء، قال: جاءت رقعة بخط الشريف أبي جعفر ووصيته إلى الشيخ أبي عبد الله بن جردة، فكتبتها، وهذه نسختها ما لي يشهد الله سوى الدلو والحبل، أو شيء يخفى علي لا قدر له، والشيخ أبو عبد الله لئن راعاكم بعدي، وإلا فالله لكم قال: الله عز وجل: {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [النساء: 9]، ومذهبي الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وما عليه مالك وأحمد والشافعي وغيرهم ممن يكثر ذكرُهم، والصلاة بجامع المنصور إن سهل ذلك عليهم، ولا يقعدني عزاء، ولا يشق على جيب، ولا يلطم خد، فمن فعل ذلك فالله حسيبه، فتوفِّي ليلة الخميس للنصف من صفر، وتولَّى غسله أبو سعيد البرداني وابن الفتي، لأنه أوصى إليه بذلك، وكانا قد

---

(1) - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (21/ 467).

خدماه طول مرضه، وصلى عليه يوم الجمعة بجامع المنصور، فازدحم الناس وكان يومًا مشهودًا لم يُرَ مثله، وكانت العوام تقول: ترحموا على الشريف الشهيد القتيل المسموم؛ لأنه قيل إن بعض المبتدعة ألقى سمًّا في مداسه، ودُفن إلى جانب قبر أحمد بن حنبل[1].

وصية الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله:

عن الكمال محمود بن عمر الرازي قال: سمعت الإمام فخر الدين يوصي بهذه الوصية لما احتضر لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني: يقول العبد الراجي رحمة ربه الواثق بكرم مولاه محمد بن عمر بن الحسن الرازي، وهو أول عهده بالآخرة، وآخر عهده بالدنيا، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجه إلى مولاه كل آبق، أحمد الله بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات شهاداتهم، وأحمده بالمحامد التي يستحقها عرفتها أو لم أعرفها؛ لأنه لا مناسبة للتراب مع رب الأرباب، وصلواته على ملائكته المقربين والأنبياء والمرسلين وجميع عباد الله الصالحين، اعلموا أخلائي في الدين وإخواني في طلب اليقين أن الناس يقولون: إن الإنسان إذا مات انقطع عمله وتعلُّقه عن الخلق، وهذا مخصص من وجهين: الأول أنه إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سببًا للدعاء، والدعاء له عند الله تعالى أثر.

الثاني: ما يتعلق بالأولاد وأداء الجنايات، أما الأول فاعلموا أني كنت رجلًا محبًّا للعلم، فكنت أكتب من كل شيء شيئًا، لأقف على كميته وكيفيته، سواء كان حقًّا أو باطلًا، إلا أن الذي نطق به في الكتب المعتبرة أن العالم المخصوص تحت تدبير مدبره المنزه عن مماثلة التحيزات، موصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة، ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيت فيها فائدة

---

(1) - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (16/ 196).

تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال لله، ويمنع عن التعمق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى في تلك المضايق العميقة والمناهج الخفية، فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء كما في القِدم والأزلية والتدبير والفعالية، فذلك هو الذي أقول به، وألقى الله به، وأما ما ينتهي الأمر فيه إلى الدقة والغموض، وكل ما ورد في القرآن والصحاح المتعين للمعنى الواحد، فهو كما قال، والذي لم يكن كذلك، أقول: يا إله العالمين، إني أرى الخلق مطبقين على أنك أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلمي أو خطر ببالي، فأستشهد وأقول: إن علمت مني أني أردت به تحقيق باطل أو إبطال حق، فافعَل بي ما أنا أهله، وإن علمت مني أني ما سعيت إلا في تقديس اعتقدت أنه الحق، وتصورت أنه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني وارحمني واستُر زلتي، وامحُ حَوبتي يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين، وأقول: ديني متابعة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما: اللهم يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، أنا كنت حسن الظن بك عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت أنا عند ظن عبدي بي، وأنت قلت: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل: 62]، فهب أني ما جئت بشيء، فأنت الغني الكريم، فلا تخيب رجائي، ولا ترد دعائي، واجعلني آمنًا من عذابك قبل الموت وبعد الموت وعند الموت، وسهِّل عليَّ سكرات الموت، فإنك أرحم الراحمين، وأما الكتب التي صنَّفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا

فليحذف القول السيئ، فإني ما أردت إلا تكثير البحث، وشحذ الخاطر، والاعتماد في الكل على الله.

الثاني: وهو إصلاح أمر الأطفال، فالاعتماد فيه على الله، ثم إنه سرد وصيته في ذلك إلى أن قال: وأمرت تلامذتي ومن لي عليه حق إذا أنا مت، يبالغون في إخفاء موتي، ويدفنوني على شرط الشرع، فإذا دفنوني قرؤوا عليَّ ما قدروا عليه من القرآن، ثم يقولون: يا كريم، جاءك الفقير المحتاج، فأحسن إليه هذا آخر الوصية[1].

ومن شعره في آخر حياته:

نهاية إقدام العقول عقالُ = وأكثر سعي العالمين ضلالُ

وأرواحنا في عقلة من جسومنا = وحاصل دنيانا أذًى ووبالُ

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا = سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وكم قد رُزينا من رجال ودولةٍ = فبادُوا جميعًا مسرعين وزالوا

وكم من جبال قد علت شرفاتها = رجالٌ فزالوا والجبالُ جبالُ[2]

وصية علقمة العطاردي رحمه الله:

عن سفيان بن عيينة قال: قال: علقمة بن لبيد العطاردي لابنه: يا بنيَّ، إذا نزغتك إلى صحبة الرجال حاجةٌ، فأصحب منهم من إن صحبته زانك، وإن خدمته صانك، وإن أصابتك خصاصةٌ مانك؛ وإن قلت صدَّق قولك، وإن صلت شدَّ صولك، وإن مددت يدك بفضلٍ مدَّها، وإن رأى منك حسنةً عدَّها؛ وإن سألته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمَّات آساك، من لا

(1) - طبقات الشافعية الكبرى (8/ 90-91).

(2) - طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (8/ 96).

يأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن حاول حويلًا آمرك، وإن تنازعتما منفسًا آثرك[1].

وصية أبي طالب المكي محمد بن علي عطية رحمه الله:

قال أبو القاسم بن سرات: دخلت على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت، فقلت له: أوص، فقال: إذا ختم لي بخير، فانثر على جنازتي لوزًا وسكرًا، فقلت: كيف أعلم بذلك؟ فقال: اجلس عندي ويدك في يدي، فإن قبضت على يدك، فاعلم أنه قد ختم لي بخير، قال: ففعلت، فلما حان فراقه قبض على يدي قبضًا شديدًا، فلما رفع على جنازته، نثرت اللوز والسكر على نعشه[2].

وصية علي بن عيسى بن سليمان أبي الحسن الفارسي المعروف رحمه الله:

قال ابن كثير: كان يحفظ القرآن ويعرف القراءات، وصحب أبا بكر الباقلاني، وأكثر شعره في مديح الصحابة وذم الرافضة، وكانت وفاته في شوال من هذه السنة، ودُفن بالقرب من قبر معروف، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله:

نفسُ يا نفس كم تمادين في تلفي = وتمشين في الفعال المعيبِ
راقبي الله واحذَري موقف العر = ضِ وخافي يوم الحساب العصيبِ
لا تغرنَّكِ السلامة في العي = ش فإن السليمَ رَهنُ الخطوبِ
كل حي فللمنون ولا يد = فع كأس المنون كيد الأديبِ
واعلمي أن للمنية وقتًا = سوف يأتي عجلانَ غيرَ هيوبِ

---

(1) - عيون الأخبار (ص: 281).

(2) - البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي (11/ 366).

إن حب الصديق في موقف ال = حشر أمانٌ للخائف المطلوب[1]

وصية تائب إلى الله رحمه الله:

قال بعض السادة الأخيار لولده لما حضرته الوفاة: يا بنيَّ، اسمع وصيتي، واعمل ما أوصيك به، قال نعم يا أبت، قال يا بنيَّ، اجعل في عنقي حبلًا، وجرَّني إلى محرابي، ومرِّغ خدي على التراب، وقل: هذا جزاء من عصى مولاه، وآثر شهوته وهواه، ونام عن خدمة مولاه، قال: فلما فعل ذلك به، رفع طرفه إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي ومولاي، قد آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك، غير أنك الغفور وأنا العاصي، وأنت الرحيم وأنا الجاني، وأنت السيد وأنا العبد، ارحَم خضوعي وذِلتي بين يديك، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

قال: فخرجت روحه في الحال، فإذا بصوت ينادي من زاوية البيت سمعه كل مَن حضر وهو يقول: تذلَّل العبد لمولاه، واعتذر إليه مما جناه، فقرَّبه وأدناه وجعل الجنة الخلد مأواه[2].

وصية معروف بن الفيرزان الكرخي رحمه الله:

عن أبي بكر الزجاج قال: قيل لمعروف الكرخي في علته: أوصِ، فقال: إذا مت فتصدقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عريانًا كما دخلت إليها عريانًا[3].

---

(1) - البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي (12/ 18).

(2) - بحر الدموع (ص: 11).

(3) - صفة الصفوة (2/ 324).

وصية السري بن المغلس السقطي رحمه الله:

قال ابن الجوزي عن الجنيد بن محمد يقول: كنت أعود السري في كل ثلاثة أيام عيادة السنة، فدخلت عليه وهو يجود بنفسه، فجلست عند رأسه، فبكيت وسقط من دموعي على خده، ففتح عينيه ونظر إليَّ، فقلت له: أوصني، فقال لا تصحب الأشرار، ولا تشتغل عن الله بمجالسة الأخيار[1].

****

وصية إبراهيم بن هانئ رحمه الله:

عن أبي بكر النيسابوري قال: حضرت إبراهيم بن هانئ عند وفاته فقال لابنه إسحاق: أنا عطشان، فجاءه بماء فقال: غابت الشمس، قال: لا قال فرده، ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت روحه.

وعنه قال: حضرت إبراهيم بن هانئ النيسابوري يوم وفاته، فدعا ابنه إسحاق فقال: هل غربت الشمس، قال لا ثم قال يا أبتِ رُخِّص لك في الإفطار في الفرض، وأنت متطوع قال أمهل، ثم قال لمثل هذا فيعمل العاملون ثم خرجت نفسه[2].

وصية عبد الله بن المبارك رحمه الله:

عن الحسن بن الربيع قال: سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نصير يقول له: يا أبا عبدالرحمن، قل لا إله إلا الله فقال: يا نصير، قد ترى مقدرة

---

(1) - صفة الصفوة (2/ 385).

(2) - صفة الصفوة (2/ 401).

الكلام، فإذا سمعتني قد قلتها فلا تردِّدها حتى تسمعني، قد أحدثت بعدها كلامًا، فإنما كانوا يستحبون أن يكون آخر كلام العبد ذلك[1].

وصية محمد بن أسلم أبي الحسن الطوسي رحمه الله:

كان يقول: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت نفسًا تصلي إلى القبلة شرًّا عندي من نفسي، ودخلت عليه قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبد الله، تعالَ أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت وقد منَّ الله عليَّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه، وقد علم ضَعفي، فإني لا أطيق الحساب، فلم يدع عندي شيئًا يحاسبني عليه، ثم قال: أغلق الباب، ولا تأذن لأحد عليَّ حتى أموت، واعلم أني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثًا غير كسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي، وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهمًا فقال: هذا لابني أهداه إليه قريب له، ولا أعلم شيئًا أحلَّ لي منه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنت ومالك لأبيك، فكفِّنوني منها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتي، فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي، وغطوا عليَّ بكسائي، وتصدقوا بإنائي أعطوه مسكينًا يتوضأ منه، ثم مات اليوم الرابع[2].

وصية رابعة العدوية رحمه الله:

ذكر ابن الجوزي بإسناده إلى عبدة بنت أبي شوال وكانت من خيار إماء الله تعالى، وكانت تخدم رابعة، قالت: كانت رابعة تصلي الليل كله، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول: إذا وثبت من مرقدها وهي فزعة: "يا نفس، كم تنامين وإلى كم تنامين، يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور".

---

(1) - الثبات عند الممات (ص: 158).

(2) - صفة الصفوة (4/ 127).

وكان ذلك دأبها دهرها حتى ماتت، ولما حضرتها الوفاة دعتني وقالت: "يا عبدة، لا تؤذني بموتي أحدًا، وكفنيني في جبتي هذه"، وهي جبة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، قالت: فكفَّنتها في تلك الجبة وفي خمار من صوف كانت تلبسه، ثم رأيتها بعد ذلك بسنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء، وخمار من سندس أخضر، لم أر شيئًا قط أحسن منه فقلت: يا رابعة، ما فعلت بالجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف؟ قالت: "إن الله نزعه عني وأبدلت به ما ترينه على، فطويت أكفاني وختم عليها، ورُفعت في عليين؛ ليكمل لي بها ثوابها ويم القيامة"،

فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا، فقالت: "وما هذا عندما رأيت من كرامة الله عز وجل لأوليائه"، فقلت لها: ما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب، فقالت: "هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلا"، فقلت: وبم وقد كنت عند الناس أكبر منها، قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا أو أمست، فقلت لها: فما فعل بشر بن منصور، قالت: "بخ بخ، أعطي والله فوق ما كان يؤمِّل"، قلت: فمريني بأمر أتقرب به من الله عز وجل؟ قالت: عليك بكثرة ذكره يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك رحمها الله تعالى[1].

وصية حبيب أبي محمد الفارسي رحمه الله:

كان مجاب الدعوة حضر مجلس الحسن، فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك، عن عبد الواحد بن زيد أن حبيبًا أبا محمد جزع جزعًا شديدًا عند الموت، فجعل يقول بالفارسية أريد أن أسافر سفرًا ما سافرته قط، أريد أن أسلك طريقًا ما سلكته، قط أريد أن أزور سيدى ومولاي وما رأيته قط، أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط، أريد أن أدخل تحت التراب، فأبقى تحته إلى يوم

(1) - الدر المنثور في طبقات ربات الخدور (ص: 202)

القيامة، ثم أوقف بين يدي الله، فأخاف أن يقول لي يا حبيب: هات تسبيحة واحد سبحتني في ستين سنة، لم يظفر بك الشيطان فيها بشيء، فماذا أقول وليس لي حيلة، أقول: يا رب، هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي[1].

وصية محمد بن واسع رحمه الله:

عن يونس بن عبيد قال: دخلنا على محمد بن واسع نعوده، فقال: وما يغني عني ما يقول الناس إذا أخذ بيدي ورجلي، فألقيت في النار.

وعن محمد بن عبدالله مولى الثقفيين قال: دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضي، فقال: يا إخوتي يا إخوتاه، هبوني وإياكم سألنا الله الرجعة، فأعطاكموها ومنعنيها، فلا تخسروا أنفسكم[2].

وصية سليمان بن مهران الأعمش الأسدي رحمه الله:

قال ابن الجوزي: قال أبو بكر بن عياش: دخلتُ على الأعمش في مرضه الذي مات فيه، فقلت: ألا أدعو لك طبيبًا؟ فقال: ما أصنعُ به، فوالله لو كانت نفسي بيدي لطرحتُها في الحشِّ، فلا تؤذنن أحدًا بي إذا مت، واذهب واطرحني في لحدي[3].

وصية الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله:

قيل: إنه لما احتضر دخل عليه ابنه الوليد فبكى، فقال له عبد الملك: ما هذا؟ أتحن حنين الجارية والأمة؟ إذا أنا مت فشمِّر واتَّزر والبس جلد النمر، وضع الأمور عند أقرانها، واحذر قريشًا، ثم قال له: يا وليد، اتَّقِ الله فيما أستخلفك فيه،

---

(1) - صفة الصفوة (3/ 320)

(2) - صفة الصفوة (3/ 271)

(3) - صفة الصفوة (3/ 118)

واحفظ وصيتي، وانظر إلى أخي معاوية فصلْ رحمه، واحفظني فيه، وانظر إلى أخي محمد، فأقرَّه على الجزيرة، ولا تعزله عنها، وانظر ابن عمنا علي بن عبد الله بن عباس، فإنه قد انقطع إلينا بمودته ونصيحته، وله نسب وحق، فصل رحمه واعرِف حقه، وانظر الحجاج بن يوسف فأكرِمه، فإنه هو الذي مهَّد لكم البلاد، وقهر الأعداء، وأخلص لكم الملك، وشتت الخوارج، وأنهاك وإخوتك عن الفرقة، وكونوا أولاد أم واحدة، وكونوا في الحرب أحرارًا، وللمعروف منارًا، فإن الحرب لم تُدنِ منية قبل وقتها، وإن المعروف يشيد ذكر صاحبه، ويميل القلوب بالمحبة، ويذلل الألسنة بالذكر الجميل، ولله در القائل:

إن الأمور إذا اجتمعنَ فرامها = بالكسر ذو حنق وبطش باليد

عزت فلم تكسر وإن هي بددت = فالكسر والتوهين للمتبددِ

ثم قال: إذا أنا مت فادع الناس إلى بيعتك، فمن أبى فالسيف، وعليك بالإحسان إلى إخوانك فأكرمهنَّ وأحبهن إليَّ فاطمة - وكان قد أعطاها قرطي مارية والدرة اليتيمة - ثم قال: اللهم احفظني فيها، فتزوجها عمر بن عبد العزيز وهو ابن عمها.

ولما احتضر سمع غسالًا يغسل الثياب، فقال: ما هذا؟ فقالوا: غسال، فقال: يا ليتني كنت غسالًا، أكسب ما أعيش به يومًا بيوم، ولم أل الخلافة، ثم تمثل فقال:

لعمري لقد عمرت في الملك برهة = ودانت لي الدنيا بوقع البواتر

وأعطيت جم المال والحكم والنهى = ودان قماقيم الملوك الجبابر

فأضحى الذي قد كان مما يسرني = كحلم مضى في المزمنات الغوابر

فيا ليتني لم أعن بالملك ليلة = ولم أسع في لذات عيش نواضر

وكنت كذي طمرين عاش ببلغة = من العيش حتى زار ضيق المقابر

وقد أنشد هذه الأبيات معاوية بن أبي سفيان عند موته.

وقال أبو مسهر: قيل لعبد الملك في مرض موته: كيف تجدك؟ فقال: أجدني كما قال الله تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام: 94][1].

وصية الخليفة سليمان بن عبد الملك رحمه الله:

عن رجاء بن حيوة وكان وزير صدق لبني أمية قال: استشارني سليمان بن عبد الملك وهو مريض أن يولي ابنًا له صغيرًا لم يبلغ الحلم، فقلت: إن مما يحفظ الخليفة في قبره أن يولي على المسلمين من بعده الرجل الصالح، ثم شاورني في ولاية ابنه داود، فقلت له: إنه غائب عنك بالقسطنطينية، ولا تدري أحي هو أم ميت؟ فقال: فمن ترى؟ فقلت: رأيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف ترى في عمر بن عبد العزيز؟ فقلت: أعلمه والله خيرًا فاضلًا مسلمًا، فقال: هو والله على ذلك، ولكن أتخوف إخوتي لا يرضون بذلك، فأشار رجاء أن يجعل يزيد بن عبد الملك ولي العهد من بعد عمر بن عبد العزيز ليرضي بذلك بني مروان، فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله سليمان أمير المؤمنين لعمر بن عبد العزيز، إني قد وليتك الخلافة من بعدي، ومن بعده يزيد بن عبد الملك، فاسمعوا له وأطيعوا، واتقوا الله ولا تختلفوا فيطمع فيكم.

وختم الكتاب وأرسل إلى كعب بن حامد العبسي صاحب الشرطة، فقال له: اجمع أهل بيتي، فمرهم فليبايعوا على ما في هذا الكتاب مختومًا، فمن أبى منهم فاضرب عنقه، فاجتمعوا ودخل رجال منهم، فسلموا على أمير المؤمنين، فقال لهم: هذا الكتاب عهدي إليكم فاسمعوا له وأطيعوا وبايعوا من وليت فيه، فبايعوا رجلًا رجلًا.

---

(1) -البداية والنهاية (ج 5 ص 90-91).

قال رجاء: فلما تفرقوا جاءني عمر بن عبد العزيز، فقال: أنشدك الله وحرمتي ومودتي إلا أعلمتني إن كان كتب لي ذلك حتى أستعفيه الآن قبل أن يأتي حال لا أقدر فيها على ما أقدر عليه الساعة! فقلت: والله لا أخبرك حرفًا واحدًا، قال: ولقيني هشام بن عبد الملك، فقال: يا رجاء، إن لي بك حرمة ومودة قديمة، فأخبرني هذا الأمر، فإن كان إليَّ علمت، وإن كان إلى غيري تكلمت، فما مثلي قصر به، فقلت: والله لا أخبرك حرفًا واحدًا مما أسرَّ إليَّ.

قال رجاء: ودخلت على سليمان، فإذا هو يموت، فجعلت إذا أخذته السكرة من سكرات الموت أحرفه إلى القبلة، فإذا أفاق يقول: لم يأن لذلك بعد يا رجاء، ففعلت ذلك مرتين، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئًا، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال: فحرفته إلى القبلة ومات، فغطيته بقطيفة خضراء، وأغلقت الباب عليه[1].

وصية عبد الله بن شداد لابنه رحمه الله:

لما حضرت عبد الله بن شداد الوفاة، دعا ابنا له يقال له محمد، فقال يا بني إني أرى داعى الموت لا يقلع، وأرى من مضي لا يرجع، ومن بقي فإليه ينزع، وإني موصيك بوصية فاحفظها، عليك بتقوى الله العظيم، وليكن أولى الأمور بك شكر الله وحسن النية في السر والعلانية، فإن الشكور يزداد، والتقوى خير زاد، وكن كما قال الحطيئة:

ولست أرى السعادة جمع مالٍ = ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرًا = وعند الله للأتقى مزيد

وما لا بد أن يأتي قريب = ولكن الذي يمضي بعيد

---

(1) - البداية والنهاية- (5/ 239)

ثم قال: أي بني، لا تزهدن في معروف فإن الدهر ذو صروف، والأيام ذات نوائب على الشاهد والغائب، فكم من راغب أصبح مطلوبًا ما لديه، واعلم أن الزمان ذو ألوان، ومن يصحب الزمان ير الهوان، وكن أي بني؛ كما قال أبو الأسود الدؤلي:

وعد من الرحمن فضلًا ونعمة = عليك إذا ما جاء للعرف طالب

وإن امرأً لا يُرتجى الخير عنده = يكن هينًا ثقلًا على من يصاحب

فلا تمنعن ذا حاجة جاء طالبًا = فإنك لا تدري متى أنت راغب

رأيت التواء هذا الزمان بأهله = وبينهم فيه تكون النوائب

ثم قال: أي بني، كن جوادًا بالمال في موضع الحق، بخيلًا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء الإنفاق في وجه البر، وإن أحمد بخل الحر الضن بمكتوم السر، وكن كما قال قيس بن الخطيم الأنصاري:

أجود بمكنون التلاد وإنني = بسرِّك عمن سألني لضنين

إذا جاوز الاثنين سر فإنه = بنث وتكثير الحديث قمين

وعندي له يومًا إذا ما ائتمنني = مكان بسوداء الفؤاد مكين

ثم قال أي بني، وإن غلبت يومًا على المال، فلا تدع الحيلة على حال، فإن الكريم يحتال والدني عيال، وكن أحسن ما تكون في الظاهر حالًا، أقل ما تكون في الباطن مالًا، فإن الكريم من كرمت طبيعته، وظهرت عند الإنفاد نعمته، وكن كما قال ابن خذاق العبدي:

وجدت أبي قد أورثه أبوه = خلالًا قد تعد من المعالي

فأكرم ما تكون على نفسي = إذا ما قل في الأزمات مالي

فتحسن سيرتي وأصون عرضي = ويجمل عند أهل الرأي حالي

وإن نلت الغني لم أغل فيه = ولم أخصص بجفوتي الموالي

ثم قال أي بني، وإن سمعت كلمة من حاسد، فكن كأنك لست بالشاهد، فإنك إن أمضيتها حيالها رجع العيب على من قالها، وكان يقال الأريب العاقل هو الفطن المتغافل، وكن كما قال حاتم الطائي:

وما من شيمتي شتم ابن عمي = وما أنا مخلف من يرتجيني

وكلمة حاسد في غير جرم = سمعت فقلت مري فانقذيني

فعابوها على ولم تسؤني = ولم يعرق لها يوما جبيني

وذو اللونين يلقاني طليقًا = وليس إذا تغيب يأتليني

سمعت بعيبه فصفحت عنه = محافظة على حسبي وديني

ثم قال أي بني، لا تؤاخ امرأً حتى تعاشره وتتفقد موارده ومصادره، فإذا استطعت العشرة ورضيت الخبرة، فواخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة، وكن كما قال المقنع الكندي:

أبل الرجال إذا أردت إخاءهم = وتوسم فعالهم وتفقد

فإذا ظفرت بذى اللبابة والتقى = فبه اليدين قرير عين فاشدد

وإذا رأيت ولا محالة زلة فعلى= أخيك بفضل حلمك فاردد

ثم قال أي بني، إذا أحببت فلا تفرط، وإذا أبغضت فلا تشطط، فإنه قد كان يقال أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما، وكن كما قال هدبة بن الخشرم العذري:

وكن معقلًا للحلم واصفح عن الخنا = فإنك راء ما حييت وسامع

وأحبب إذا أحببتَ حبًّا مقاربًا = فإنك لا تدري متى أنت نازع

وأبغض إذا أبغضت بغضًا مقاربًا = فإنك لا تدري متى أنت راجع

وعليك بصحبة الأخيار وصدق الحديث، وإياك وصحبة الأشرار، فإنه عار وكن كما قال الشاعر:

اصحَب الأخيار وارغَب فيهم = رُب من صاحبته مثل الجرب

ودع الناس فلا تشتمهم = وإذا شاتمت فاشتم ذا حسب

إن من شاتم وغدا كالذي = يشتري الصفر بأعيان الذهب

واصدُق الناس إذا حدَّثتهم = ودَعِ الناس فمن شاء كذب[1]

وصية أحد الوزراء رحمه الله:

وأوصى بعض الوزراء أن يكتب على قبره:

أيها المغرور في الدنيا بعز يقينه = وبأهل وبمال وبقصر تبتنيه

كم عليها قد سحبنا ذيل سلطان منيته = يحسب الأقدار تجري بجلود ترتجيه

إذا طواك الموت طيا فاعتبرنا نحن فيه [2]

****

(1) -جواهر الأدب (188-191).

(2) - أهوال القبور (ص: 220)

وصية تائب -رحمه الله-:

عن أبان بن صالح بن عمير بن عبيد القرشي، خادم أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جنازة تتبعها أبان لما رأى فيها من العجب، فقرر أن يذهب وراءها ويستفسر عن صاحبها، وقد وردت القصة في كتاب ألف قصة وقصة من نوادر الصالحين وحياة الزاهدين لمؤلفه هاني الحاج.

وصية شاب تائب إلى الله رحمه الله:

قال أبان بن صالح: خرجت يومًا من عند أنس بن مالك نتمشى، فلما كنت بسوق البصرة إذا أنا بأربعة من الرجال يحملون جنازة، فقلت: واعجبًا أسواق البصرة عامرة مشتكة بالناس، ولم يصحب هذه الجنازة غير أربعة من الرجال، لأكونن خامسهم، فسرت معهم حتى أتوا إلى الجبانة، فقلت لهم: يا قوم أيكم ولي هذا الميت فليصل عليه؟ فقالوا: كلنا فيه سواء، فتقدم أنت فصلِّ عليه، فصليت عليه ووارياه التراب، فقلت لهم: بالله عليكم ألا ما صدقتموني بخبر هذا الميت.

فقالوا: ما منا من يعلم خبرًا غير أن هذه المرأة اكترتنا لحمله، فالتفت إليها وإذا أنا بامرأة مقبلة، فجاءت حتى جلست عند القبر ساعة، ثم قامت وهي تضحك، فقلت لها: يا له من عجب، امرأة تضحك على قبر ميتها؟ ثم قلت لها: بالله عليكم، ألا ما أخبرتني مما ضحكت؟

فقالت: يا هذا، ما لك وما لا يعنيك؟ قلت لها: أخبريني، فإني أبان خادم أنس بن مالك خادم رسول الله، فقالت: يا أبان، لو لم تكن ذاك ما أخبرتك بحديث أبدًا، اعلم أن هذا الميت ولدي، وكان مسرفًا على نفسه، فلما كان البارحة اشتد الأمر به، فنادى: يا أماه، فأجبته فقال: سألتك بالله إلا ما فعلتي بي ما آمرك به، فقلت له: قل ما بدا لك.

فقال: إذا أنا مت فلا تعلمي بي أحدًا من جيراني، وخذي خاتمي هذا، وانقشي عليه: لا إله إلا الله محمد رسول الله، واجعليه بين جلدي وكفني، فإذا وضعت في قبري فضعي يدك على ضفيرة شعرك وارفعيها إلى الله، واضرعي إليه أن يغفر لي، وقولي: إلهي، قد رضيت عنه فارضَ عنه، ثم قال: يا أماه قومي ثم ضعي رجلك اليمنى على حر وجهي، وقولي: هذا جزاء من عصى الله عز وجل.

فقمتُ والله يا أبان ووضعت رجلي هذه المشؤومة على حر وجهه، وجعلت أنادي: هذا جزاء من عصى الله عز وجل، فما رفعتها من على وجهه حتى مات، فاكتريت هؤلاء الأربعة فغسلوه وكفَّنوه، وحملوه إلى قبره وواروه كما رأيت، فلما انصرفوا جعلت شعري في يدي كما قال، ورفعته إلى الله، وقل: يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين، يا خير منزول به، قد علمت منا السر والعلن، واطلعت على ما ظهر وبطن، وقد توسل ولدي العاصي المذنب الخاطئ إليك برضا والدته المسكينة الذليلة، وقد رضيت عنه، فارض عنه، فسمعت صوتًا من داخل القبر يقول: انصرفي يا أماه فقد قدمت على رب كريم، وقد غفر لي ذنوبي، فهذا الذي أضحكني، ثم ولَّت وهي مسرورة.

الباب الخامس: كيف تكب وصيتك:

اعلم علمني الله واياك: أن النبي حثنا على كتابة الوصية فقد أخرج الامام البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ مَالٌ يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ فَوْقَ لَيْلَتَيْنِ إِلاَّ وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ[1].

العباس بن الوليد أخبرني أبي قال سألت الأوزاعي كيف يكتب الرجل وصيته قال يكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما شهد به فلان بن فلان، يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور على ذلك يحيى وعليه يموت وعليه يبعث إن شاء الله، وأوصى إن حدث بي حدث قبل أن أغيّر وصيتي هذه، فيوصي بما بدا له[2].

الوصية الشخصية:

هذه هي الوصية الشخصية التي ينبغي لكل مسلم ومسلمة أن يوصي بها أهله وأحبابه إذا مات، وذلك في زمان الغربة؛ حيث ظهرت البدع بل ظنها كثير من المسلمين أنها من الأمور الواجبة، وتشتمل على ستة بنود:

أولًا: الوصية عند الموت.

ثانيًا: الوصية بعد الموت.

ثالثًا: الوصية عند الغسل والكفن.

رابعًا: الوصية عند حمل الجنازة.

خامسًا: الوصية عند الدفن.

---

(1) - البخاري (3/1005، رقم 2587)، ومسلم (3/1249، رقم 1627).

(2) - وصايا العلماء عند حضور الموت (ص: 107).

سادسًا: الوصية عند الانصراف.

أخي المسلم، هذه صورة الوصية الشرعية لي ولكل مسلم ومسلمة، يرجو ثواب الله ورحمته، والموت على سنة رسوله وملته، فاللهَ أسأل أن تكون هذه الوصية هي خاتمة حياتنا.

أولًا: الوصية عند المرض والاحتضار:

عندما يهجم عليك المرض، وترى ساعة الاحتضار، عندها يوقن المرء بالفراق، وعندها اجمَع أبناءك ونساءك وأحبابك، وأوصيهم بتقوى الله جل جلاله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

تزوَّد من التّقوى فإنّك لا تدري = إذا جَنَّ ليلٌ هل تعيشُ إلى الفجر

فكم من عروس زيَّنوها لزوجها = وقد قُبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغار يُرتجى طولُ عُمرِهم = وقد أدخلت أرواحهم ظلمة القبر

وكم من صحيح مات من غير علَّة = وكم من سقيم عاش حينًا من الدَّهر

وكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكًا = وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

وأن يوصيهم بالصلاة التي هي وصية رسول الله عند موته عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: كَانَ مِنْ آخِرِ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"، حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلَجْلِجُهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ[1].

(1) - مسند أحمد ط الرسالة (44/ 85) وأخرجه النسائي في "الكبرى" (7097)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[1].

وأن يوصيهم بالجار، فهو وصية جبريل عليه السلام عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى قُلْتُ لَيُوَرِّثَنَّهُ»[2].

وأن يوصيهم باجتناب ما حرم الله من اللغو والغيبة والنميمة يقول سبحانه: {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون: 3].

وأن يوصيهم بأن يكونوا إخوانًا متحابين، وعلى الخير متعاونين، وعن الشر متباعدين، وللشحناء تاركين، ولصلة الرحم غير قاطعين، فهي من القربات التي من وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله، ورغَّبنا في الحفاظ عليها نبينا عَن أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رزقه وينسأ له فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ[3].

وأن سنام البر والصلة والمعروف الإحسان للوالدين أحياءً وأمواتًا، ولقد قرن الله سبحانه وتعالى الإحسان إليهما بعبادته سبحانه؛ حيث قال: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: 23، 24].

---

(1) - أخرجه ابن أبى شيبة (167/6، رقم 30396)، وأحمد (346/5، رقم 22987)، والترمذي (13/5، رقم 2621)

(2) - أخرجه أحمد (85/2، رقم 5577)، والبخاري (2239/5، رقم 5669)، ومسلم (2025/4، رقم 2625)، وأبو داود (338/4، رقم 5152).

(3) - أخرجه: البخاري 73/3 (2067)، ومسلم 8/8 (2557) (21).

ويتجلى ذلك بأروع أمثلة البيان في قوله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} [لقمان: 14].

*الوصية بالدين وأوصيكم بقضاء ما عليَّ من الديون من مالي، فإن لم يفِ مالي فمن مال أبنائي؛ لأن نفس المؤمن معلقة بدَينه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»[1].

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -:"مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ ثَلَاثٍ: مِنَ الْكِبْرِ وَالْغُلُولِ وَالدَّيْنِ، دَخَلَ الْجَنَّةَ "[2].

فبادروا بقضاء ما عليَّ من الديون قبل دفني والصلاة علي، وعليكم بشرع ربكم كتاب الله وسنة نبيكم في أحكام المواريث، وإياكم وظلم البنات، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يقول الشاعر:

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتدرًا = فالظلم ترجع عقباه إلى الندمِ

تنام عيناك والمظلوم منتبهٌ = يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

واعلموا أن السعادة ليست في جمع مال، وإنما هي في تقوى الله عز وجل:

وَلَستُ أَرى السَعادَةَ جَمعَ مالٍ = وَلَكِنَّ التَقيَّ هُوَ السَعيدُ

وَتَقوى اللهِ خَيرُ الزادِ ذُخرًا = وَعِندَ اللهِ لِلأَتقى مَزيدُ

وَما لا بُدَّ أَن يَأتي قَريبٌ - وَلَكِنَّ الَّذي يَمضي بَعيدُ

الوصية بالصبر عند الاحتضار والآداب التي ينبغي على الأهل والأقارب:

---

(1) - أخرجه الشافعي (361/1)، وأحمد (508/2، رقم 10607)، والترمذي (389/3، رقم 1078، 1079)

(2) - أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (400/4، رقم 5540).

يقول المولى سبحانه وتعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: 10].

لذلك أرجو أن يتحلى الجميع عندما يداهمني المرض أو الموت بالصبر والرضا بقضاء الله، وأن تأخذوا في أسباب الشفاء بألا تبخلوا علي بالدواء والعلاج، وألا تتأذوا مما أنا فيه، فقد كنت عما قريب مثلكم، ومن قام بزيارتي يجب أن يخفف الزيارة عملًا بالسنة؛ حيث إن للمريض أحوالًا، وله الأجر والثواب لما جاء في الحديث الذي روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلى الله عَلَيه وسَلم قَالَ: إِذَا عَادَ الْمُسْلِمُ أَخَاهُ، أَوْ زَارَهُ فِي اللهِ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ فِي الْجَنَّةِ مَنْزِلًا[1].

ويجب على من يحضرني أن يدعو لي وأن يذكرني بالله ونطق الشهادة، لما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[2]، وألا يقال في حضرتي هذه إلا خيرًا لما روي عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»[3].

واعلموا أن من صبر واحتسب على ما أنا فيه، فله الأجر العظيم لما روي عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اللهُ: "يَا بْنَ آدَمَ إِذَا أَخَذْتُ

---

(1) - أخرجه: ابن ماجه (1443)، والترمذي (2008) صحيح الجامع: 6387، وصحيح الترغيب والترهيب: 2578

(2) - أخرجه: مسلم 37/3 (916)

(3) - -أخرجه: مسلم 38/3 (919) (6)، وأبو داود (3115)، وابن ماجه(1447)، والترمذي (977)، والنسائي 4/4 - 5.

كَرِيمَتَيْكَ فَصَبَرْتَ، وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى لَمْ أَرْضَ لَكَ بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ"[1].

وهكذا يكون أمر المؤمن كله خير في السراء والضراء لما رُوي عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[2].

ثانيًا: الوصية عند خروج الروح:

فإذا صعدت الروح بالفعل ويجب عليكم التأكد من ذلك جيدًا، ويعلم ذلك أهل الطب والمجربون، فبعد ذلك ابدؤوا بتغميض عيني وتوجيهي إلى القبلة، واستروني بغطاء، ثم ابدؤوا بإبلاغ قرابتي وجيراني وزملائي بأسرع وسيلة كالهاتف مثلًا، وإياكم والنعي لما روي عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا مَاتَ لَهُ مَيِّتٌ قَالَ: لَا تُؤْذِنُوا بِهِ أَحَدًا، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ نَعْيًا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَى عَنِ النَّعْيِ[3].

وابدؤوا بسداد الدين قبل دفني - كما ذكرت قبل ذلك - ولا يدخل علي امرأة حائض ولا رجل جنب لحضور الملائكة، ولا تتركوني لناقصات العقل والدين من النسوة من قرابتي وغير قرابتي اللواتي يَصدر منهنَّ ما يغضب الله تعالى من

---

(1) - أخرجه الطبراني (191/8، رقم 7788)، وابن السنى (ص 235، رقم 634)، وابن عساكر (133/11). وأخرجه أيضًا : أحمد (258/5 رقم 22282) صحيح الأدب المفرد: 413، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(2) - أخرجه أحمد (**333/4**، رقم **18959**)، ومسلم (**2295/4**، رقم **2999**)، والدارمي (**409/2**، رقم **2777**)

(3) - مسند أحمد ط الرسالة (38/ 443)وأخرجه ابن ماجه (1476)، والترمذي (986) وحسنه الألباني في أحكام الجنائز ص31، وصحيح الترغيب والترهيب: 3531

أمور نهى النبي عنها فعن عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ شَقَّ الْجُيُوبَ، وَلَطَمَ الْخُدُودَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ"[1].

وجاء في الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري قال: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة[2]، ويجب أن يذكرني الجميع بخير وأن يسامحوني عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ»[3].

يا بن ادم:

ولدتك أمك يا بن ادم باكيًا = والناس حولك يضحكون سرورَا

فاحرِص لنفسك أن تكون إذا بكوا = في يوم موتك ضاحكًا مسرورَا

ولا يجوز أن يقبلني من لا يجوز له تقبيلي في حياتي، ولا يجوز لأي امرأة أو فتاة قريبة أو غريبة أن تحد عليَّ أكثر من ثلاثة أيام ما لم يمنعها ولي أمرها، فإن منعها فلا تحد عليَّ مطلقًا، ويجب على زوجتي أن تحد أربعة أشهر وعشرًا؛ كما قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [البقرة: 234، 235]،

---

(1) - أخرجه البخاري (1298) و(3519)، ومسلم (103) (165)

(2) - شعب الإيمان - البيهقي (7/ 240)

(3) - أخرجه أبو داود (4/275، رقم 4900)، والترمذي (3/339، رقم 1019) ضعيف - "تخريج المشكاة" (1678)، "الروض النضير" (485).

ولما روي عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ، إِلَّا الْمَرْأَةُ تَحِدُّ عَلَى زَوْجِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا تَلْبَسُ ثَوْبًا مَصْبُوغًا إِلَّا ثَوْبَ عَصْبٍ، وَلَا تَكْتَحِلُ، وَلَا تَطَّيَّبُ إِلَّا عِنْدَ أَدْنَى طُهْرِهَا بِنُبْذَةٍ مِنْ قُسْطٍ أَوْ أَظْفَارٍ»[1].

وذلك أن تترك التزين بالحلي والمجوهرات، ووضع الكحل والطيب والحناء، ولُبس الحرير وما أشبه ذلك، ولا يجوز أن تخطب في هذه الفترة، كما يكره لبس السواد للجميع إن قُصد به الحداد.

يقول أبو العتاهية:

يا نَفسُ أَينَ أَبي وَأَينَ أَبو أَبي = وَأَبوهُ عُدي لا أَبا لَكِ وَاحسُبي

عُدّي فَإِنّي قَد نَظَرتُ فَلَم أَجِد = بَيني وَبَينَ أَبيكِ حَيًّا مِن أَبِ

أَفَأَنتِ تَرجينَ السَلامَةَ بَعدَهُم مَهلًا = هُديتِ لِسَمتِ وَجهِ المَطلَبِ

قَد ماتَ ما بَينَ الجَنينِ إِلى الرَضيـ = ـعِ إِلى الفَطيمِ إِلى الكَبيرِ الأَشيَبِ

فَإِلى مَتى هَذا أَراني لاعِبًا = وَأَرى المَنونَ إِذا أَتَت لَم تَلعَبِ

ثالثًا: الوصية عند الغسل والكفن:

وأحذِّركم مرة أخرى من النائحة والمستمعين لها، ومن لطم الخدود وشق الجيوب، ودعوى الجاهلية، وألا يقول الجميع من حولي إلا خيرًا؛ حيث إن الملائكة تؤمِّن على ما تقولون إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وأكثِروا من ذكر الله والصلاة على رسول الله، والدعاء لي، وأكثروا من الطيب والبخور، وإبعاد نار البخور عني، ثم ابدؤوا بتغسيلي بمعرفة وحضور من هو ثقة وأمين وصالح من الرجال؛ لينشر ما يراه من الخير، ويستر عليَّ ما قد يراه من الشر، ثم ليبدأ أولًا

(1) - سنن ابن ماجه (1/ 674) قال الشيخ الألباني : صحيح

بعصر بطني عصرًا رفيقًا؛ ليخرج ما بها، ويجب أن يلف على يداه خرقة خوفًا من لمس العورة، ثم بعد أن أُطهَّر من النجاسة وضِّؤوني وضوء الصلاة ثم غسِّلوني ثلاثًا بالماء الدافئ والصابون، والثالثة بالماء فقط؛ حيث يندب أن تكون مرات الغسل وترًا، ثم جفِّفوا بدني بثوب نظيف؛ حتى لا يبتل الكفن، ثم ضعوا الطيب عليَّ لاستقبال الملائكة بالرائحة الطيبة، وحتى لا يظهر مني ريح كريهة يؤذي الملائكة والمشيعين، ثم كفِّنوني في كفن أبيض، لما روي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير لباسكم البياض، فألبسوها أحياءكم، وكفنوا فيها موتاكم»[1].

وأن يكون الكفن ثلاث لفائف دون مغالاة، وألا يكون من الحرير؛ حيث إنه محرَّم على الرجال، لما روي علي بن أبي طالب يقول: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حريرًا بشماله، وذهبًا بيمينه، ثم رفع بهما يديه، فقال: «إن هذين حرام على ذكور أمتي، حِلٌّ لإناثهم»[2].

ثم طيِّبوا الكفن بالطيب وليعتبر الجميع بما أمامهم، وليعلموا أنهم غدًا أو بعده، سيكونون في مثل هذا الموضع، وقد تركوا خلفوا وراءهم ما كانوا يمتلكون ويتمتعون به من أموال وأزواج وعيال، وغير ذلك من متاع الدنيا، وقد خرجوا منها فجأة، ولم يأخذوا من حطامها إلا ما قدمت أيديهم من أعمال خيرها وشرها؛ قال الله تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ} [آل عمران: 30].

---

(1) - المعجم الكبير للطبراني (12/ 65)

(2) - سنن ابن ماجه (2/ 1189).

ويقول سبحانه {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: 94].

ولَما روي عن أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلاَثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ[1].

كلُّ ابن انثى وإن طالت سلامته = يومًا على آلة حدباء محمول

فإذا حملت إلى القبور جنازة = فاعلم بأنّك بعدها محمولُ

رابعًا: الوصية عند حمل الجنازة:

فإذا أردتم حمل الجنازة، فإياكم ورفع الأصوات، فليذكر كل منكم ربه سرًّا، ويدعوه سرًّا، فالجنازة موضع الخشية والخوف من الله، وإياكم وحمل مواقد البخور في أثنائها للنار التي بها والتي تؤذي الروح، وقد روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لاَ تُتْبَعُ الْجَنَازَةُ بِصَوْتٍ وَلاَ نَار» زَادَ هَارُونُ: «وَلاَ يُمْشَى بَيْنَ يَدَيْهَا»[2].

وإياكم ومصاحبة النسوة والفتيات مع الجنازة مهما كانت صلة القرابة من أم وزوجة وعيال، وأُلزمكم بهذا الأمر من الآن، سواء عند موتي، أو عند أي ميت قريب أو بعيد، لما روي عن علي، قال: خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فإذا نسوة جلوس، فقال: "ما يجلسكن؟ "قلن: ننتظر الجنازة، قال: "هل

---

(1) - أخرجه : البخاري 134/8 (6514)، ومسلم 211/8 (2960) (5).

(2) - أخرجه أبو داود (203/3، رقم 3171)، والبيهقي (394/3، رقم 6445). [قال الألباني]: ضعيف

تغسلن؟"، قلن: لا، قال: "هل تحملن؟"، قلن: لا، قال: "هل تدلين فيمن يدلي؟"، قلن: لا، قال: "فارجعن مأزورات غير مأجورات"[1].

وأرجو أن تسرعوا بي إلى الخير الذي أعده الله للمتقين، وأرجو أن أكون منهم إن شاء الله؛ لما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا وضعت الجنازة، فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين يذهبون بها، يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمع الإنسان لصعق"[2].

ثم صلوا عليَّ صلاة الجنازة في أي بيت من بيوت الله، فإن لها من الله الأجر العظيم؛ لما روي عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ تَبِعَهَا حَتَّى يُقْضَى قَضَاؤُهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ[3].

وأرجو أن تكثروا من سواد المصلين، وألا يقل عددهم عن أربعين رجلًا؛ لما روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ، أَوْ بِعُسْفَانَ، فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ، انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: يَقُولُ: هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى

---

(1) - سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (2/ 516) وأخرجه البزار (653)، والبيهقي 4/ 77) قال الشيخ الألباني : ضعيف

(2) - أخرجه أحمد (58/3، رقم 11569)، وعبد بن حميد (ص 291، رقم 933)، والبخاري (442/1، رقم 1251)، والنسائي (41/4، رقم 1909).

(3) - أخرجه مسلم (654/2، رقم 946)، وابن ماجه (492/1، رقم 1540)، وأخرجه أيضًا أحمد (284/5، رقم 22508).

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ"[1].

واعلموا أن كل من يفارق الحياة إما أن يكون قد استراح من عناء الدنيا وابتلاءاتها، وإما أن يكون قد استراحت منه البلاد والعباد، لفساده وجبروته وظلمه وطغيانه وعناده، وها هو الرسول صلى الله عليه وسلم البليغ يوضح لنا في كلامه الموجز في الحديث الذي روي عَنْ أَبِي قَتَادَةَ بْنِ رِبْعِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُرَّ عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَالَ: مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، فَقَالُوا: مَا الْمُسْتَرِيحُ وَمَا الْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ[2].

أخي المسلم، هل تعلم ما يقول النعش؟ دخل بهاء الدين السبكي على الشيخ برهان الدين الإنباسي يعوده وكان أمامها نعش، فنظر السبكي إلى النعش، ثم قال للإنباسي: يا شيخ برهان الدين، أتدري ما يقول هذا النعش؟! فقال: إنه يقول:

انظر إلي بعقلك أنا المعد لحملك

أنا سرير المنايا كم سار مثلي بمثلك

---

(1) - أخرجه أحمد (277/1، رقم 2509)، ومسلم (655/2، رقم 948)، وأبو داود (203/3، رقم 3170)، وابن حبان (351/7، رقم 3082).

(2) - أخرجه مالك (241/1، رقم 573)، وأحمد (296/5، رقم 22589)، والبخاري (2388/5، رقم 6147)، ومسلم (656/2، رقم 950).

خامسًا: الوصية عند الدفن:

فإذا وصلتم إلى القبور احذروا أن تمشوا على القبور؛ روى عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ حَتَّى تُحَرِّقَ ثِيَابَهُ، وَتَخْلُصَ إلى جِلْدِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ»[1].

والآن ضعوا جثتي أمام قبري استعدادًا للرحيل الأخير، وأُوصيكم بأن يكون قبري لحدًا؛ لما روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «اللَّحْدُ لَنَا وَالشَّقُّ لِغَيْرِنَا»[2].

وأن يكون مستويًا على الأرض لما روي عَنْ أَبِى هَيَّاجٍ الأَسَدِيِّ قَالَ بَعَثَنِي عَلِي قَالَ لي أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَلاَ أَدَعَ قَبْرًا مُشْرِفًا إِلاَّ سَوَّيْتُهُ، وَلاَ تِمْثَالًا إِلا طَمَسْتُهُ[3].

ولئن أدلوني في قبري وأنتم تقولون بما جاء به الحديث المروي عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "إِذَا وُضع موتاكم في القبر فقولوا: باسم اللَّهِ، وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ"[4].

فإذا دفنتموني انتظروا عند قبري بعض الوقت حتى استأنس بكم، وأُجيب رسل ربي الذين سيحضرون إلي للسؤال، وسلوا لي التثبيت، واستغفروا لي وأكثروا من الدعاء عملًا بما جاء في الحديث الذي روي عن عثمان قال: كان النبي صلى

---

(1) - أخرجه أحمد (311/2، رقم 8093)، ومسلم (667/2، رقم 971)، وأبو داود (217/3، رقم 3228).

(2) - أخرجه أبو داود (213/3، رقم 3208)، والترمذي (363/3، رقم 1045)

(3) - مسند أحمد ط الرسالة (2/ 317) وأخرجه الترمذي (1049) وأبو يعلى (350)، والحاكم (369/1)

(4) - أخرجه أبو داود "3/ 546" وابن ماجه رقم "1550"، والترمذي "4/ 146"

الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل[1].

وهكذا تكون المحبة لي والوفاء؛ حيث إن هذه الساعة هي ساع الوداع والفراق التي لا رجعة بعدها، ولا ملتقى إلا في يوم الميعاد، وأن لها أثرًا في النفس، فقد أثر هذا الموقف في رسولنا الكريم لِما روي عن البراء، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى حتى بل [2]الثرى، ثم قال: "يا إخواني، لمثل هذا فأعدوا"، وها أنتم الآن ستنصرفون إلى بيوتكم بعد أن حاسبني ربي حسابًا عادلًا، لأرى مقعدي في الجنة أم في النار، ولم يتجرأ أعز صديق لي منكم ولا ممن كان يحبني في دنياي أن يجلس معي في قبري لو ساعة واحدة.

موعظة:

قف بالقبور وقل على ساحاتها = من منكم المغمور في ظلماتها

ومن المكرم منكم في قعرها = قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لذي العيون فواحد = لا يستبين الفضل في درجاتها

لو جاوبوك لأخبروك بألسن = تصف الحقائق بعد من حالاتها

أما المطيع فنازل في روضة = يفضي إلى ما شاء من دوحاتها

والمجرم الطاغي بها متقلب = في حفرة يأوي إلى حياتها

وعقارب تسعى إليه فروحه = في شدة التعذيب من لدغاتها

---

(1) - أخرجه أبوداود (215/3، رقم 3221)، والبيهقي (56/4، رقم 6856)، والحاكم (526/1، رقم 1372)

(2) - سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (5/ 286) وأخرجه ابن أبي شيبة 13/ 226 - 227

سادسًا: الوصية عند الانصراف:

كم أُوصيك بتجنب عمل السرادقات وإحضار القراء في هذه الليلة، وما بعدها من ليال، فإن العزاء يجب أن يقتصر بتشييع الجنازة، وأن يؤدي لمن يدركها في بيوتكم بشكل طبيعي دون إحداث بدع أو مخالفات، كذلك تجنبوا إحياء ليالي الجمع حتى الأربعين من بعد الوفاة؛ أي أيام الخميس التي تُحيى بالتجمعات من الرجال والنساء وبتلاوة القرآن، وكذلك يوم الأربعاء ويوم الميعاد من كل عام، فكل هذا من البدع والخرافات التي ليست من دين الله في شيء، ولم يفعلها رسولنا وحبيبنا وقدوتنا ومعلِّمنا صلى الله عليه وسلم الذي أمرنا باتباعه في كل ما فعله وأمر به وأقره، وكذلك لم يفعله صحابته الأجلاء والخلفاء الراشدين المهديين من بعده رضي الله عنهم أجمعين، عَنْ عَائِشَةَ رضى الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»[1].

عن عَائِشَة أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[2]، فمن أين أتت إلينا هذه الأمور التي نسبناها إلى الدين، ولن يستفيد الميت منها بالحسنات لأنها مخالفة لهدي سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم، وإنما جاءت من جهل المسلمين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، حتى ما جاءت به السنة المطهرة وأمر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد خالفوه وعكسوه، فتجد أهل الميت يصنعون الطعام للناس والمعزين، وأغلبهم من الشبعى والأغنياء، وليتهم كانوا جياعًا فقراء، وانظروا إلى

---

(1) - أخرجه : البخاري 241/3 (2697)، ومسلم 132/5 (1718) (17) و(18).

(2) - أخرجه أحمد (146/6، رقم 25171)، ومسلم (1343/3، رقم 1718).

السنة الصحيحة في هذا المضمار عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: «اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ»[1].

فمن السنة أن يصنع الجيران لأهل الميت الطعام، وليس العكس كما الحال في زماننا هذا، وهذا ما أوصيكم به ألا تصنعوا طعامًا لأحد على هيئة وليمة، ومن أراد أن يتصدق علي من ماله خالصًا لوجه الله للفقراء والمساكين والأرامل واليتامى والمسنين والمحتاجين والمجاهدين في سبيل الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخي المسلم، أيضحك من للموت فيه نصيب:

أيضحك من للموت فيه نصيب وينعم عيشا إن ذا لعجيب

ويأكل والأيام تأكل عمره وليس له جسم لذاك يذوب

ومن عرف الرحمن لم يهن قلبه نعيم ولم ينفك عنه نحيب

بعدت عن الورد الرضي بزلة وبي قطعت دون الوصول ذنوب

أخي المسلم، حقيق بالتواضع من يموت:

حَقيقٌ بِالتَواضُعِ مَن يَموتُ وَيَكفي الَمَرءَ مِن دُنياهُ قوتُ

فَما لِلمَرءِ يُصبِحُ ذا هُمومٍ وَحِرصٌ لَيسَ تُدرِكُهُ النُعوتُ

صَنيعُ مَليكِنا حَسَنٌ جَميلٌ وَما أَرزاقُنا عَنّا تَفوتُ

فَيا هَذا سَتَرحَلُ عَن قَريبٍ إلى قَومٍ كَلامُهُمُ سُكوتُ

---

(1) - أخرجه الطيالسي (284/2، رقم 1026) بلفظ: اجعلوا - ط دار هجر، وأحمد (205/1، رقم 1751)، وأبو داود (195/3، رقم 3132)

أخي المسلم، استعد ليوم فقدك:

قل للمفرط يستعد ما من ورود الموت بد

قد أهلك الدهر الشباب وما مضى لا يسترد

الباب السادس: رصيدك بعد موتك:

أخي المسلم، هناك أمور تعود عليك في الآخرة وبعد رحيلك من الدنيا بالأجر والربح والرفعة في الدرجات، وهي بمنزلة عمر لك بعد عمرك وحياة لك بعد حياتك، وأنها رصيدك بعد موتك في غربتك، ولقد حدَّد النبي صلى الله عليه وسلم معالمها، وبيَّن لنا ثوابها، وفي الحث لنا عليها، وهاك بيانها عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ؛ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[1].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: خَيْرُ مَا يُخَلِّفُ الرَّجُلُ مِنْ بَعْدِهِ ثَلَاثٌ، وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ وَصَدَقَةٌ تَجْرِي، يَبْلُغُهُ أَجْرُهَا وَعِلْمٌ يُعْمَلُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ[2]؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم -: "إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنُ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلِمَهُ وَنَشَرَهُ،

---

(1) -أخرجه أحمد (372/2، رقم 8831)، والبخاري في الأدب المفرد (28/1، رقم 38)، ومسلم (1255/3، رقم 1631)

(2) -سنن ابن ماجه، 88/1 رقم241؛ والسنن الكبرى للنسائي، 109/4 رقم6478؛ والمجتبى من النسائي، 251/6 رقم3651.

أَوْ وَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهَرًا كَرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، تَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ"[1].

عَن أَنَسٍ قال: قال رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم: سبع يجري للعبد أجرهنَّ من بعد موته وهو في قبره: من علم علمًا، أو كرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلًا، أو بنى مسجدًا، أو ورث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته[2].

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "أَرْبَعَةٌ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أُجُورُهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: مُرَابِطٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أُجْرِيَ لَهُ مِثْلُ مَا عَمِلَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَجْرُهَا لَهُ مَا جَرَتْ، وَرَجُلٌ تَرَكَ وَلَدًا صَالِحًا فَهُوَ يَدْعُو لَهُ"[3].

إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ لَيْسَ يَجْرِي عَلَيْهِ مِنْ خِصَالٍ غَيْرُ عَشْرِ

عُلُومٌ بَثَّهَا وَدُعَاءُ نَجْلٍ وَغَرْسُ النَّخْلِ وَالصَّدَقَاتُ تَجْرِي

وِرَاثَةُ مُصْحَفٍ وَرِبَاطُ ثَغْرٍ وَحَفْرُ الْبِئْرِ أَوْ إِجْرَاءُ نَهْرِ

وَبَيْتٌ لِلْغَرِيبِ بَنَاهُ يَأْوِي إِلَيْهِ أَوْ بِنَاءُ مَحَلِّ ذِكْرِ

وتَعْلِيمٌ لِقُرْآنٍ كَرِيمٍ فَخُذْهَا مِنْ أَحَادِيثَ بِحَصْرِ

---

(1) -أخرجه ابن ماجه (88/1، رقم 242) قال المنذري (55/1) : إسناده حسن، وقال البوصيري (35/1).

(2) -أخرجه أبو نعيم في الحلية (344/2)، والبيهقي في شعب الإيمان (248/3، رقم 3449).

(3) -أخرجه أحمد (269/5، رقم 22372)، والطبراني (205/8، رقم 7831)

القربات النافعة للأموات:

أخي المسلم، ذكرت لك قبل ذلك القربات التي يصل ثوابها للميت تحت عنوان رصيدك بعد موتك، وهناك قربات أخرى ينتفع بها المسلم بعد موته ويصل إليه ثوابها، وترفع درجته في الجنة وهاك بيانها:

أولًا: الاستغفار للميت:

ودليله: {رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا} [نوح: 28]، وقوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} [الإسراء: 24].

وأخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَنَّى لِي هَذِهِ؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ"[1].

ثانيًا: الصوم عن الميت:

وكذلك يجوز الصوم عن الميت إذا مات وعليه صيام، والأدلة في ذلك الباب كثيرة أذكر منها ما أخرجه البخاري ومسلم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟ فَقَالَ: «لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكَ دَيْنٌ، أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى» قَالَ سُلَيْمَانُ: فَقَالَ الْحَكَمُ،

---

(1) -أخرجه أحمد (509/2، رقم 10618)، وابن ماجه (1207/2، رقم 3660) قال البوصيري (98/4)

وَسَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ جَمِيعًا، وَنَحْنُ جُلُوسٌ حِينَ حَدَّثَ مُسْلِمٌ بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَا: سَمِعْنَا مُجَاهِدًا، يَذْكُرُ هَذَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[1].

وفي الصحيحين من حديث عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»[2].

وأخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، إِذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ، وَإِنَّهَا مَاتَتْ، قَالَ: فَقَالَ: «وَجَبَ أَجْرُكِ، وَرَدَّهَا عَلَيْكِ الْمِيرَاثُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ، أَفَأَصُومُ عَنْهَا؟ قَالَ: «صُومِي عَنْهَا» قَالَتْ: إِنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ، أَفَأَحُجُّ عَنْهَا؟ قَالَ: «حُجِّي عَنْهَا»[3].

ثالثًا: الحج عن الميت:

أخرج مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ خَثْعَمَ تَسْتَفْتِيهِ، فَجَعَلَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ إلى الشِّقِّ الْآخَرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فَرِيضَةَ اللهِ عَلَى عِبَادِهِ فِي الْحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى الرَّاحِلَةِ، أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، وَذَلِكَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ[4].

---

(1) -أخرجه الطيالسى (طبعة دار هجر 347/4، رقم 2743)، ومسلم (804/2، رقم 1148)، والترمذي (95/3، رقم 716)، وابن ماجه (559/1، رقم 1758).

(2) -أخرجه أحمد (69/6، رقم 24446)، والبخاري (690/2، رقم 1851)، ومسلم (803/2، رقم 1147)

(3) -مسند أحمد ط الرسالة (38/ 140)، ومسلم (1149) (158)

(4) -والبخاري (1513) و(1855)، ومسلم (1334) (407)، وأبو داود (1809)، والنسائي 118/5-119 و228/8،

رابعًا: العمرة عن الميت:

فقد ورد جواز ذلك؛ إذ هي جزء من الحج روى أبو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه وأحمد وغيرهم بسند صحيح عَنِ ابْنِ رَزِينٍ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ وَلَا الظَّعْنَ قَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ»[1].

خامسًا: كثرة عدد المصلين على الميت:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه))[2].

وأخرج مسلم والنسائي والترمذي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ مَاتَ ابْنٌ لَهُ بِقُدَيْدٍ - أَوْ بِعُسْفَانَ - فَقَالَ: يَا كُرَيْبُ، انْظُرْ مَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَإِذَا نَاسٌ قَدِ اجْتَمَعُوا لَهُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: تَقُولُ هُمْ أَرْبَعُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَخْرِجُوهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[3].

سادسًا: ثناء الناس عليه:

وثناء الناس على الميت بالخير من المسلمين العارفين ربهم من ذوي الصلاح، يوجب للميت الجنة؛ كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي

---

(1) -أخرجه الطيالسى (ص 147، رقم 1091)، وأحمد (10/4، رقم 16229)، والترمذي (269/3، رقم 930) وقال : حسن صحيح. والنسائي (117/5، رقم 2637)، وابن حبان (304/9، رقم 3991)، وابن ماجه (970/2، رقم 2906)، والحاكم (654/1، رقم 1768)

(2) - أخرجه : مسلم 52/3 (947) (58).

(3) -أخرجه أحمد (277/1، رقم 2509)، ومسلم (655/2، رقم 948)، وأبو داود (203/3، رقم 3170)، وابن حبان (351/7، رقم 3082)

الحديث المتفق عليه عَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَرُّوا بِجِنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ"، وَمَر بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِي عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ نَّبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ"، فَقَالَ عُمَرُ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، مُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقُلْتَ: "وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ"، وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ، فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا، فَقُلْتَ: "وَجَبَتْ وَجَبَتْ وَجَبَتْ"، فَقَالَ: "مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ"[1].

وفي رواية لأحمد ابن حبان عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةٌ أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الْأَدْنَيْنَ، إِلَّا قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَكُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[2].

سابعًا: الصدقة عن الميت:

ومن الأمور العبادات التي ينتفع بها الميت، وقد جاءت بذلك أحاديث كثيرًا أذكر منها:

روى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا، وَلَمْ يُوصِ، فَهَلْ يُكَفِّرُ عَنْهُ أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»[3].

قال الإمام النووي رحمه الله في هذا الحديث جواز الصدقة على الميت واستحبابها، وأن ثوابها يصل وينفعه وينتفع المتصدق أيضًا، وهذا كل هذا اجمع

---

(1) -أخرجه مسلم (949)، والنسائي 4/49-50،

(2) -مسند أحمد ط الرسالة (21/ 175) أخرجه أبو يعلى (3481)، وابن حبان (3026)، والحاكم 378/1) صحيح - ((أحكام الجنائز))

(3) - أحمد (371/2، رقم 8828) أخرجه مسلم (5 / 73) والنسائي (2 / 129) وابن ماجه (2 / 160)

عليه المسلمون، وروى البخاري ومسلم عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّيَ افْتُلِتَتْ نَفْسَهَا وَلَمْ تُوصِ، وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَلَهَا أَجْرٌ، إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ»[1].

وروى البخاري وأبو داود والنسائي ابْنِ عَبَّاسٍ يَقُولُ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ: أَنَّ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ - قَالَ ابْنُ بَكْرٍ: أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ - تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، فَهَلْ يَنْفَعُهَا إِنْ تَصَدَّقْتُ بِشَيْءٍ عَنْهَا؟ قَالَ: " نَعَمْ "، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّ حَائِطَ الْمَخْرَفِ صَدَقَةٌ عَلَيْهَا[2]؛ قال الشوكاني في (نيل الأوطار) (4 / 79): (وأحاديث الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابها، فيخصص بهذه الاحاديث عموم قوله تعالى {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: 39].

ولكن ليس في أحاديث الباب إلا لحوق الصدقة من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه، فلا حاجة إلى دعوى التخصيص، وأما من غير الولد فالظاهر من العموميات القرآنية أنه لا يصل ثوابه إلى الميت، فيوقف عليها، حتى يأتي دليل يقتضي تخصيصها).

قلت - أي الشيخ الألباني رحمه الله-: وهذا هو الحق الذي تقضيه القواعد العلمية أن الآية على عمومها وأن ثواب الصدقة وغيرها، يصل من الولد إلى الوالد؛ لأنه من سعيه بخلاف غير الولد، لكن قد نقل النووي وغيره الإجماع على أن الصدقة تقع عن الميت ويصله ثوابها، هكذا قالوا (الميت)، فأطلقوه ولم يقيدوه بالوالد، فإن صح هذا الإجماع كان مخصصًا للعمومات التي أشار إليها

---

(1) - أخرجه : البخاري 127/2 (1388)، ومسلم 81/3 (1004) (51)

(2) -وأخرجه البخاري (2756)

الشوكاني فيها يتعلق بالصدقة، ويظل ما عداها داخلًا في العموم؛ كالصيام وقراءة القرآن ونحوهما من العبادات[1].

حكم قراءة القرآن ووهبها للميت:

يقول الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله: فلم أر دليلًا صريحًا صحيحًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيد أنه فعل ذلك، ولا أنه حث عليه ولا أمر به، فإذا كان كذلك وكانت العبادات توقيفية كما هو معلوم، فنرجح من ثم القول القائل بأن القراءة لا يصل ثوابها إلى والله تعالى أعلم.

ولا بأس أن نورد هنا قولًا مختصرًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذا الصدد مع سياقه أقوال العلماء؛ سئل رحمه الله: ما تقول السادة الفقهاء وأئمة الدين - وفقهم الله تعالى لمرضاته - في القراءة للميت هل تصل إليه؟ أم لا؟ والأجرة على ذلك وطعام أهل الميت لمن هو مستحق وغير ذلك، والقراءة على القبر والصدقة عن الميت أيهما المشروع الذي أمرنا به؟

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين، أما الصدقة عن الميت، فإنه ينتفع بها باتفاق المسلمين، وقد وردت بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث صحيحة؛ مثل قول سعد: يا رسول الله، إن أمي افتُلتت نفسها، وأراها لو تكلمت تصدقت، فهل ينفعها أن أتصدق عنها؟ وقيل: يجوز أخذ الأجرة عليها للفقير دون الغني، وهو القول الثالث في مذهب أحمد، كما أذن الله لولي اليتيم أن يأكل مع الفقر، ويستغني مع الغنى، وهذا القول أقوى من غيره على هذا، فإذا فعلها الفقير لله، وإنما أخذ الأجرة لحاجته إلى ذلك، وليستعين بذلك على طاعة الله، فالله يأجره على نيته، فيكون قد أكل طيبًا وعمل صالحًا، وأما إذا كان لا يقرأ القرآن إلا

(1) - أحكام الجنائز (ص: 173) وما بعدها

لأجل العروض، فلا ثواب لهم على ذلك، وإذا لم يكن في ذلك ثواب، فلا يصل إلى الميت شيء؛ لأنه إنما يصل إلى الميت ثواب العمل لا نفس العمل، فإذا تصدق بهذا المال على من يستحقه، وصل ذلك إلى الميت، وإن قصد بذلك من يستعين على قراءة القرآن وتعليمه، كان أفضل وأحسن، فإن إعانة المسلمين بأنفسهم وأموالهم على تعلُّم القرآن وقراءته وتعليمه من أفضل الأعمال.

وأما صنعة أهل الميت طعامًا يدعون الناس إليه، فهذا غير مشروع، وإنما هو بدعة، بل قد قال جرير بن عبد الله: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعتهم الطعام للناس من النياحة، وإنما المستحب إذا مات الميت أن يصنع لأهله طعام، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء نعي جعفر بن أبي طالب: اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم ما يشغلهم، وأما القراءة الدائمة على القبور، فلم تكن معروفة عند السلف.

وقد تنازع الناس في القراءة على القبر، فكرِهها أبو حنيفة ومالك وأحمد في أكثر الروايات عنه، ورخَّص فيها في الرواية المتأخرة لما بلغه أن عبد الله بن عمر أوصى أن يقرأ عند دفنه بفواتح البقرة وخواتمها، وقد نقل عن بعض الأنصار أنه أوصى عند قبره بالبقرة، وهذا إنما كان عند الدفن، فأما بعد ذلك فلم ينقل عنهم شيء من ذلك، ولهذا فرق في القول الثالث بين القراءة حين الدفن، والقراءة الراتبة بعد الدفن، فإن هذا بدعة لا يعرف لها أصل.

ومن قال: إن الميت ينتفع بسماع القرآن ويؤجر على ذلك فقد غلط؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له، فالميت بعد الموت لا يثاب على

سماع ولا غيره، وإن كان الميت يسمع قرع نعالهم ويسمع سلام الذي يسلم عليه ويسمع غير ذلك، لكن لم يبق له عمل غير ما استثنى[1].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: 39]؛ أي: كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه، ومن وهذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله، ومن اتَّبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى؛ لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء، ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة، رضي الله عنهم، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص، ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما، ومنصوص من الشارع عليهما.

وأما الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية من بعده، أو علم ينتفع به"[2].

فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله؛ كما جاء في الحديث: "إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه"[3].

والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه، وقد قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس: 12].

---

(1) - مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (24/ 314/315).

(2) - صحيح مسلم برقم (1631)

(3) - رواه أحمد في المسند (31/6) وأبو داود في السنن برقم (3528) والترمذي في السنن برقم (1358) والنسائي في السنن (240/7) من حديث عائشة رضي الله عنها/ وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

والعلم الذي نشره في الناس، فاقتدى به الناس بعده هو أيضًا من سعيه وعمله، وثبت في الصحيح: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه، من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا"[1].

الباب السابع: وصايا نبوية متعلقة بالموت:

الوصية الأولى: الإكثار من ذكر الموت والحكمة منه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا ذكر هادم اللذات؛ يعني الموت»[2]، عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ "[3].

يقول القرطبي رحمه الله قال علماؤنا رحمهم الله:

قوله عليه السلام: «أكثروا ذكر هاذم اللذات؛ الموت»، كلام مختصر وجيز، قد جمع التذكرة، وأبلغ في الموعظة، فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره؛ نغَّص عليه لذّته الحاضرة، ومنعه من تمنِّيها في المستقبل، وزهَّده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعَّاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففي قوله عليه الصلاة والسلام: «أكثروا ذكر هاذم اللذات» مع قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: 185] ما يكفي السامع له، ويشغل الناظر فيه. وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرًا ما يتمثَّل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته = يبقى الإله ويؤدي المال والولد

---

(1) - تفسير ابن كثير-ط دار طيبة (7/ 465) كتاب ما ينفع الميت بعد الوفاة.

(2) - الحاكم في مستدركه ج4/ص358 ح7909

(3) - أخرجه: ابن ماجه (4260)، والترمذي (2459)، وإسناد الحديث ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم.

لم تغن عن هرمز يومًا خزائنه = والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له = والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزَّتها = من كلِّ أوب إليها وافد يفد؟

حوض هنالك مورود بلا كذب = لا بدَّ من ورده يوما كما وردوا

فصل:

إذا ثبت ما ذكرناه، فاعلم أن ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية، والتوجُّه في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية، ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة، ونعمة ومحنة، فإن كان في حال ضيق ومحنة، فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه، فإنه لا يدوم، والموت أصعب منه، أو في حال نعمة وسعة، فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها، والسكون إليها، لقطعه عنها، ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هاذم اللذات = وتجهَّز لمصرع سوف يأتي

وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة في ادكار الموت تقصير الأمل[1].

وقال التيمي: شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت، وذكر الموقف بين يدي الله تعالى.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذاكرون الموت والقيامة والآخرة، فيبكون حتى كأن بين أيديهم جنازة.

---

(1) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (1/ 18)

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتكاسل في العبادة[1]

*****

الوصية الثانية: النهي عن تمني الموت:

ومن الوصايا المحمدية لنا وصيته لنا بعدم تمني الموت لضر اصابنا فعَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي" [2].

وقد أوضح لنا صلى الله عليه وسلم العلة في عدم تمني الموت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنٌ، فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيءٌ لَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ"[3].

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي يَزِيدَ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "لَا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطْلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُ الْعَبْدِ، وَيَرْزُقَهُ اللهُ الْإِنَابَةَ" [4].

---

(1) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (1/ 20)

(2) - البخاري (2337/5، رقم 5990)، ومسلم (2064/4، رقم 2680)، وأبو داود (188/3، رقم 3109)،

(3) - مسند أحمد ط الرسالة (13/ 23) وأخرجه النسائي في "المجتبى" 2/4 من طريق مَعْن بن عيسى، وابن حبان (3000

(4) - أخرجه أحمد (332/3، رقم 14604)، قال المنذري (128/4): إسناده حسن. وعبد بن حميد (ص 349، رقم 1155)، والبزار كما في مجمع الزوائد (203/10)، قال الهيثمي (203/10): إسناده حسن. والحاكم (268/4، رقم 7602) وقال: صحيح الإسناد

قال القرطبي رحمه الله قوله: «فلعله أن يستعتب»» الاستعتاب: طلب العتبى، وهو الرضا، وذلك لا يحصل إلا بالتوبة والرجوع عن الذنوب، قال الجوهري: استعتب: طلب أن يعتب، تقول: استعتبته فأعتبني؛ أي: استرضيته فأرضاني، وفي التنزيل في حق الكافرين: {وإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصّلت: 24]، ورُوي عن سهل بن عبد الله التّستري أنه قال: «لا يتمنى الموت إلا ثلاثة:

رجل جاهل بما بعد الموت، ورجل يفرُّ من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق محب للقاء الله عزَّ وجلّ»[1].

متى يجوز تمني الموت؟

قال القرطبي رحمه الله: والدعاء به خوف ذهاب الدين، قال الله عزّ وجلّ مخبرًا عن يوسف عليه السلام: {تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } الآية [يوسف: 101]، وعن مريم عليها السلام في قولها: {يا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هذا وكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا} [مريم: 23].

(مالك) عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:«لا تقوم السّاعة حتى يمرَّ الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه»[2].

فصل:

قلت: لا تعارض بين هذه الترجمة والتي قبلها لما نبينه.

---

(1) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (1/ 13)

(2) - أخرجه مالك في «الموطأ» (1/ 157/ 52) كتاب الجنائز- والبخاري (7115) ومسلم (2907).

أما يوسف عليه السلام، فقال قتادة: لم يتمنَّ الموت أحد؛ نبي ولا غيره، إلا يوسف عليه السلام حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل، اشتاق إلى لقاء ربه عزّ وجلّ، فقال: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ} [يوسف: 101]، فاشتاق إلى لقاء ربه عزّ وجلّ، وقيل: إن يوسف عليه السلام لم يتمن الموت، وإنما تمنى الموافاة على الإسلام؛ أي: إذا جاء أجلي توفني مسلمًا، وهذا هو القول المختار في تأويل الآية عند أهل التأويل، والله أعلم[1].

وأما مريم عليها السلام، فإنما تمنّت الموت لوجهين:

أحدهما: أنها خافت أن يظنَّ بها السوء في دينها وتعيَّر، فيفتنها ذلك.

الثاني: لئلّا يقع قوم بسببها في البهتان والزور والنسبة إلى الزنا، وذلك مهلك لهم، والله أعلم.

وقد قال الله عزّ وجلّ في حقِّ من افترى على عائشة رضي الله عنها: {والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ}[النور: 11]، وقال: {وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور: 15] وقد اختلف في مريم عليها السلام؛ هل هي صدّيقة لقوله تعالى: {وَ أُمُّهُ صِدِّيقَةٌ }[المائدة: 75]، أو نبية لقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا} [مريم: 17]، وقوله:{ وإِذْ قالَتِ الْمَلائِكَةُ يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفاكِ} [آل عمران: 42]، وعليه فيكون الافتراء عليها أعظم والبهتان في حقها أشد، وفيه يكون الهلاك حقًّا، فعلى هذا الحد الذي ذكرناه من التأويلين يكون تمني الموت في حقها جائزًا، والله أعلم.

وأما الحديث، فإنما هو خبر أن ذلك سيكون لشدة ما ينزل بالناس من فساد الحال في الدين، وضعفه وخوف ذهابه، لا لضرٍّ ينزل بالمرء في جسمه، أو غير

---

(1)- انظر في ذلك: «الجامع لأحكام القرآن» للمصنف (9/ 269) و«تفسير القرآن العظيم» للحافظ ابن كثير (2/ 639).

ذلك، من ذهاب ماله مما يحط به عنه خطاياه، ومما يوضح هذا المعنى ويبينه قوله عليه السلام: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بالناس - ويروى أدرت - في الناس فتنة فاقبضني إليك غير مفتون»؛ رواه مالك[1].

ومثل هذا قول عمر رضي الله عنه: «اللهم قد ضعفت قوتي، وكبرت سنِّي، وانتشرت رعيَّتي، فاقبضني إليك غير مضيّع ولا مقصِّر»، فما جاوز ذلك الشهر حتى قبض رحمه الله[2]،[3].

الوصية الثالثة: زيارة القبور:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قَبْرَ أُمِّهِ، فَبَكَى وَأَبْكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ: «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ»[4].

---

(1) - «الموطأ» بلاغا (1/ 142/ 40) 15 - كتاب القرآن، (9) - باب العمل في الدعاء، وأخرجه أحمد (1/ 368) والترمذي (3233) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (682).

(2) - أخرجه مالك في «الموطأ» (2/ 268) - 41 - كتاب الحدود، رقم (10). من طريق: يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أنه سمعه يقول: فذكر خبرا وفيه هذا الدعاء.

و قال ابن عبد البر: «هذا حديث مسند صحيح». ثم ذكر بعد ذلك الخلاف حول سماع سعيد بن المسيّب من عمر، ورجّح سماعه، وهو الحقّ إن شاء الله تعالى في هذه المسألة حيث ذكر الحافظ ابن حجر سندا صحيحا بسماع سعيد من عمر؛ بيّنت ذلك في تخريج كتاب «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي، بجمع أقوال أهل العلم حول هذه المسألة.

(3) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (1/ 15/14)

(4) -أخرجه أحمد (441/2، رقم 9686)، ومسلم (671/2، رقم 976)، وأبو داود (218/3، رقم 3234)، والنسائي (90/4، رقم 2034)،

يقول القرطبي رحمه الله:

قال العلماء رحمة الله عليهم: ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بأربعة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير، والتخويف والترغيب، وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب وينجع فيها.

الثاني: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرِّق الجماعات، ومبيِّم البنين والبنات، كما تقدم في الباب قبل.

يروى أن امرأة شكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها، فقالت لها:

«أكثري من ذكر الموت يرقّ قلبك»، ففعلت ذلك فرقّ قلبها، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها.

قال العلماء: تذكّر الموت يردع عن المعاصي، ويليِّن القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا، ويهوّن المصائب فيها.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذّاتها، ويطرد عن القلوب مسرّاتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب.

يروى أن الحسن البصري دخل على مريض يعوده، فوجده في سكرات الموت، فنظر إلى كربه، وشدّة ما نزل به، فرجع إلى أهله بغير اللون الذي خرج به من عندهم، فقالوا له: الطعام يرحمك الله، فقال: يا أهلاه عليكم بطعامكم وشرابكم، فوالله لقد رأيت مصرعا لا أزال أعمل له حتى ألقاه.

فهذه ثلاثة أمور ينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بها على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وإغوائه، فإن انتفع بها فذاك، وإن عظم عليه ران القلب، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فزيارة قبور الموتى تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، والثاني، والثالث، ولذلك قال عليه السلام: «زوروا القبور فإنها تذكر الموت والآخرة، وتزهد في الدنيا»، فالأول: سماع بالأذن، والثاني: إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير في مشاهدة من احتضر، وزيارة قبر من مات من المسلمين معاينة، فلذلك كانا أبلغ من الأول والثاني. قال صلى الله عليه وسلم: «ليس الخبر كالمعاينة»[1]؛ رواه ابن عباس ولم يروه أحد غيره، إلّا أن الاعتبار بحال المحتضرين غير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات. وأما زيارة القبور؛ فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر، فينبغي لمن عزم على الزيارة أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظّه منها الطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة، ونعوذ بالله من ذلك، بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت مما يتلوه عنده من القرآن، على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى. ويجتنب المشي على المقابر، والجلوس عليها إذا دخل المقابر، ويخلع نعليه - كما جاء في أحاديث - ويسلّم إذا دخل المقابر، ويخاطبهم خطاب الحاضرين، فيقول: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين»، كذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول[2]، وكنّى بالدار عن عمارها وسكّانها، ولذلك خاطبهم بالكاف والميم، لأن العرب تعبّر بالمنزل عن أهله[3].

---

(1) - أخرجه أحمد (1/ 215، 271) والحاكم (2/ 321) وغيرهما.

و قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، وصحَّح إسناده الألباني في تخريج أحاديث «شرح العقيدة الطحاوية» ص 335 رقم (401).

(2) - أخرجه مسلم (975).

(3) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (ص15/13)

الوصية الرابعة: كحسن الظن بالله:

فقد أوصانا من أرسله ربه رحمة للعالمين بحسن الظن بالله عند الموت عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام، يقول: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل))[1]؛ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَ أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ[2]، وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ[3]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: "قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا أَحَبَّ الْعَبْدُ لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ الْعَبْدُ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ" [4]؛ قال ابن الجوزي رحمه الله: فليجعل المريض حسن الظن بالله شعاره ودثاره وليقو نفسه رجائه، فإن الخوف سوط تساق به النفس إلى الجد، وما بقي في الناقة موضع لسوط، وإنما حسن الظن.

---

(1) - - أخرجه: مسلم 165/8 (2877) (82).

(2) - أخرجه عبد بن حميد (ص 404، رقم 1370)، والترمذي (311/3، رقم 983)

(3) - أخرجه أحمد (391/2، رقم 9065) قال الهيثمي (319/2)

(4) - أخرجه مالك (240/1، رقم 569)، والبخاري (2725/6، رقم 7065)، والنسائي (10/4، رقم 1835).

وقال القرطبي رحمه الله:

حسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له، وينبغي لجلسائه أن يذكِّروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي فليظن بي ما شاء»[1].

روى حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتن أحدكم حتى يحسن الظنّ بالله، فإن حسن الظنّ بالله ثمن الجنة»[2].

وروي عن ابن عمر أنه قال: «عمود الدين وغاية مجده وذروة سنامه؛ حسن الظن بالله، فمن مات منكم وهو يحسن الظن بالله، دخل الجنة «مدلّا» - أي منبسطًا - لا خوف عليه».

وقال عبد الله بن مسعود: «والله الذي لا إله غيره، لا يحسن أحد الظن بالله إلا أعطاه الله ظنه وذلك أن الخير بيده».

وذكر ابن المبارك قال: أخبر سفيان، أن ابن عباس قال: «إذا رأيتم بالرجل الموت فبشّروه ليلقى ربّه وهو حسن الظن به، وإذا كان حيّا فخوّفوه بربه عزّ وجلّ»[3].

وقال الفضيل: «الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحًا، فإذا نزل به الموت؛ فالرجاء أفضل من الخوف».

---

(1) - أخرجه البخاري (7405، 7505، 7537) ومسلم (2675).

(2) - عزاه الهندي في «كنز العمال» (5861) لابن جميع في «معجمه» والخطيب وابن عساكر عن أنس، وقال: «و فيه أبو نواس الشاعر، قال الذهبي: فسقه ظاهر، فليس بأهل أن يروى عنه».

(3) - أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (441)

وذكر ابن أبي الدنيا، قال: حدثنا يحيى بن عبد الله البصري، قال: حدثنا سوار بن عبد الله، قال: حدثنا المعتمر، قال: قال أبي حين حضرته الوفاة: «يا معتمر حدّثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به»[1].

قال: وحدثنا عمرو بن محمد الناقد، قال: حدثنا خلف بن خليفة، عن حصين، عن إبراهيم قال: «كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت، حتى يحسن ظنه بربه عزّ وجلّ»[2].

أتيتك راجيا يا ذا الجلال ففرّج ما ترى من سوء حالي

عصيتك سيّدي ويلي بجهلي = وعيب الذنب لم يخطر ببالي

إلى من يشتكي المملوك إلا = إلى مولاه يا مولى الموالي

فويلي لم أمي لم تلدني = ولا أعصيك في ظلم الليالي

وها أنا ذا عبيدك عبد سوء = ببابك واقف يا ذا الجلال

فان عاقبت يا ربي فاني = محق بالعذاب وبالنكال

وإن تعفُ فعفوك أرتجيه = ويحسن إن عفوت قبيح حالي[3]

*****

(1) - خرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «حسن الظن بالله» رقم (29).

(2) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (1/ 44/43)

(3) - بحر الدموع (ص: 31)

الوصية الخامسة: تلقين الميت "لا إله إلا الله":

أخرج مسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1].

وذكر ابن أبي الدنيا عن زيد بن أسلم قال: قال عثمان بن عفان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ما من عبد يختم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة[2]، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه – احضروا موتاكم ولقِّنوهم لا إله إلا الله، وذكروهم فإنهم يرون ما لا ترون).

قال القرطبي رحمه الله:

قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنّة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله، فيختم له بالسعادة، وليدخل في عموم قوله عليه السلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[3].

من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصحّحه أبو محمد عبد الحق.

ولينبه المحتضر على ما يدفع به الشيطان، فإنه يتعرض للمحتضر ليفسد عليه عقيدته، على ما يأتي.

فإذا تلقَّنها المحتضر وقالها مرة واحدة، فلا تعاد عليه لئلّا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها، أو فهم ذلك عنه، قال ابن المبارك: «لقّنوا الميت لا إله إلا الله، فإذا قالها فدعوه»، قال أبو محمد عبد الحق:

---

(1) - أخرجه: مسلم 37/3 (916) (1).

(2) - المحتضرين (ص: 20)

(3) - أخرجه أحمد (5/ 233) وأبو داود (3100) والحاكم (1/ 500). وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «المشكاة» (1621).

وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا ألَحَّ عليه بها أن يتبرَّم ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سببًا لسوء الخاتمة، وكذلك أمر ابن المبارك أن يفعل به؛ قال الحسن بن عيسى: قال لي ابن المبارك: «لقّني - يعني الشهادة - ولا تعد عليّ إلا أن أتكلم بكلام ثان»، والمقصود أن يموت الرجل وليس في قلبه إلا الله عزّ وجلّ؛ لأن المدار على القلب، وعمل القلب هو الذي ينظر فيه، وتكون النجاة به، وأما حركة اللسان دون أن تكون ترجمة عما في القلب فلا فائدة فيها، ولا عبر عندها.

قال: وقد يكون التلقين بذكر الحديث عند الرجل العالم، كما ذكر أبو نعيم أن أبا زرعة كان في السوق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلمة والمنذر بن شاذان وجماعات من العلماء، فذكروا حديث التلقين؛ فاستحيوا من أبي زرعة، فقالوا: يا أصحابنا تعالوا نتذاكر الحديث، فقال محمد بن مسلمة: حدّثنا الضحاك بن مخلد، حدثنا أبو عاصم، قال حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب ولم يجاوزه. وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب ولم يجاوزه، والباقون سكوت. فقال أبو زرعة وهو في السوق: حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي غريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وفي رواية: «حرَّمه الله على النار»، وتوفي رحمه الله.

ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال: دخلت مع عامر الشّعبي على مريض نعوده، فوجدناه لما به، ورجل يلقّنه الشهادة ويقول له: قل لا إله إلا الله، وهو يكثر عليه. فقال له الشّعبي: ارفق به، فتكلّم المريض وقال: إن تلقني أو لا تلقني، فإني لا أدعها، ثم قرأ: {وأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوى وكانُوا أَحَقَّ بِها وأَهْلَها }[الفتح: 26]. فقال الشعبي: الحمد لله الذي نجّى صاحبنا هذا.

و قيل للجنيد رحمه الله عند موته، قل لا إله إلا الله فقال: ما نسيته فأذكره.

قلت: لا بدّ من تلقين الميت، وتذكيره الشهادة، وإن كان على غاية من التيقّظ، فقد ذكر أبو نعيم الحافظ من حديث مكحول عن وائلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم: «احضروا موتاكم ولقّنوهم، لا إله إلا الله، وبشّروهم بالجنة، فإن الحكيم من الرجال والنساء يتحيّر عند ذلك المصرع، وإن الشيطان أقرب من ابن آدم عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لمعاينة ملك الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يتألّم كلّ عضو منه على حياله»[1].

الوصية السادسة: الدعاء عند الميت بالخير:

إن وقت الاحتضار وقت تشهد الملائكة وهم يؤمنون على ما يقوله الحاضرون، سواء أكان ذلك بالخير أم بالشر لذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا ندعو إلا بالخير عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ، أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ، قَالَ: "قُولِي: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً"، قَالَتْ: فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم[2].

وعنهما قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ،

---

(1) - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ط العصرية (1/ 45/46)

(2) - أخرجه أحمد (6/322، رقم 26782)، ومسلم (2/633، رقم 919)، وأبو داود (3/190، رقم 3115)، والترمذي (3/307، رقم 977

فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[1].

الوصية السابعة: الإسراع بالجنازة:

ويستحب الإسراع بالميت، ويشمل ذلك تغسيله وتكفينه والصلاة عليه والإسراع بالسير إلى مثواه في الحياة البرزخية[2].

وفيه تنبيه على الإسراع بتجهيزه أيضًا؛ ليعجل به إلى الخير، أو ليستراح منه، ويجوز أن ينتظر به حتى يجتمع من يصلي عليه ويشيعه، ويدعو له بالمغفرة والرحمة إذا لم يطل ذلك، وأخرج أبو داود عن حُصَيْنِ بن وَحْوَحٍ - رضي الله عنه - أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَعُودُهُ، فَقَالَ: ((إِنِّي لاَ أرى طَلْحَةَ إِلاَّ قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فآذِنُوني بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ أَهْلِهِ))[3].

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا مات أحدكم فلا تحبسوه وأسرعوا به إلى قبره وليقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وعند رجليه بخاتمة البقرة» رواه البيهقي في شعب الإيمان، وقال: والصحيح أنه موقوف

---

(1) - أخرجه أحمد (297/6، رقم 26585)، ومسلم (634/2، رقم 920)، وابن ماجه (467/1، رقم 1454)

(2) - أخرجه أحمد (269/2، رقم 7635)، والبخاري (1283/3، رقم 3294)، ومسلم (2110/4، رقم 2756). وأخرجه أيضًا: ابن ماجه (1421/2، رقم 4255).

(3) - أخرجه أبو داود (200/3، رقم 3159)

عليه[1].

الوصية الثامنة: الصبر عند الصدمة الأولى:

قال الشيخ الألباني رحمه الله: ويجب على أقارب الميت حين يبلغهم خبر وفاته أمران:

الأول: الصبر والرضا بالقدر؛ لقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: 155 - 157].

ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة عند قبر وهي تبكي، فقال لها: "اتقي الله واصبري"، فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي قال: ولم تعرفه فقيل لها: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذها مثل الموت فأتت باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تجد عنده بوابين، فقالت: يا رسول الله إني لم أعرفك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الصبر عند أول الصدمة"، والصبر على وفاة الأولاد له أجر عظيم وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة أذكر بعضها:

أولًا: ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخلهم الله وأبويهم الجنة بفضل رحمته قال: ويكونون على باب من أبواب الجنة فيقال لهم: ادخلوا الجنة فيقولون: حتى يجيء أبوانا فيقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأبواكم بفضل رحمة الله.

---

(1) - أخرجه الطبراني (444/12، رقم 13613). قال الهيثمى (44/3): فيه يحيى بن عبد الله البابلتى، وهو ضعيف. والبيهقي في شعب الإيمان (16/7، رقم 9294). وأخرجه أيضًا: الديلمى (284/1، رقم 1115)

ثانيًا: أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كانوا حجابًا من النار، قالت: امرأة: واثنان؟ قال: واثنان.

ثالثًا: الاسترجاع وهو أن يقولك إنا لله وإنا راجعون للآية المتقدمة، ويزيد عليه قوله: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها، لحديث أم سلمة في صحيح مسلم وغيره.

الباب الثامن: وصيتي إليك أخي المسلم:

اعلم علمني الله وإياك: أن الموت حق وحقيقة لا مفر منه ولا بد لكل مخلوق ان يموت يقول سبحانه {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ} [ق: 19]، ويقول الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [آل عمران: 185]، ويقول سبحانه: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (26) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: 26، 27].

فلابد أن ترحل في رحلة لا تعود منها إلى الدنيا، ولا بد أن تركب مركبًا لم تركب مثله أبدًا.

يقول خليد العصري رحمه الله: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعدًّا، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملًا، وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفًا فعلى ما تعرجون، وما عسيتم تنظرون؟ الموت؟ فهو أول وارد عليكم من الله بخير أو بشر.

فيا إخواتاه سيروا إلى ربكم سيرًا جميلًا)[1].

---

(1) - صفة الصفوة، 136 / 2.

قل للمفرط يستعد ما من ورود الموت بدُّ

قد أخلق الدهر الشباب وما مضى لا يُستردُّ

أو ما يخاف أخو المعاصي من له البطشُ الأشدُّ

يومًا يعاين موقفًا فيه الخطوب لا تحد

يقول ابن الجوزي رحمه الله ويجب على من لا يدري متى يبغته أن يكون له مستعد، ولا يغتر بالشباب، فإن أقل من يموت من الأشياخ، وأكثر من يموت من الشباب، ولهذا يندر الكبر.

يعمر واحد فيغر قومًا وينسى من يموت من الشباب

رأى الحسن البصري شيخًا في جنازة فلما فرغ من الدف قال له الحسن:

يا شيخ بربك أتظن أن هذا الميت يود أن يرد إلى الدنيا فيزيد من عمله الصالح ويستغفر الله من ذنوبه السالفة، قال الشيخ: اللهم نعم، فقال الحسن: فما بالنا لا نكون كهذا الميت، ثم انصرف وهو يقول: أي موعظة؟ وما أنفعها لو كان بالقلوب حياة، ولكن لا حياة لمن لا يتعظ.

أخي المسلم، انظر يا رعاك الله إلى حال الخائفين الذين استعدوا للموت قبل أن ينزل بساحتهم؛

قال القعقاع بن حكيم: قد استعددت للموت منذ ثلاثين سنة فلو أتاني ما أحببت شيء عن شيء، وقال حاتم الأصم: سمعت شقيق البلخي يقول: استعد اذا جاءك الموت لا تسال الرجعة،

وكان بشر الحافي إذا ذكر الموت يقول ينبغي لمن يعلم أنه يموت أن يكون بمنزلة من جمع زاده، فوضعه على رحله لم يدع شيئًا مما يحتاج إليه إلا وضعه، وقال لقمان لابنه: أمر لا تدري متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك.

وهذه رسالة عاجلة إلى من غره ماله وإلى من غره سلطانه، إلى من غرته صحته إلى من غره طول الأمل؛ يقول شميط بن عجلان - رحمه الله - أيها المغتر بطول صحته، أما رأيت ميتًا قط من غير سقم، أيها المغتر بطول المهلة، أما رأيت مأخوذًا قط من غير عدة، أبالصحة تغترون أم بطول العافية تمرحون، أم بالموت تأمنون، أم على ملك تجترئون، إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك ولا كثرة احتشادك، أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب شديد وغصص وندامة على التفريط.

ثم يقول:

رحم الله عبدًا عمل لساعة الموت

رحم الله عبدًا عمل لما بعد الموت

رحم الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت[1].

كتب يوسف بن أسباط إلى حذيفة المرعشي:

أما بعد، فإني أوصيك بتقوى الله سبحانه والعمل بما علمك الله تعالى والمراقبة؛ حيث لا يراك إلا الله عز وجل، والاستعداد لما ليس لأحد فيه حيلة، ولا ينتفع بالندم عند نزوله، فاحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى وشمر للسباق غدًا، فإن الدنيا ميدان المسابقين، ولا تغتر بمن أظهر النسك، وتشاغل بالوصف وترك العمل بالموصوف.

---

(1) - صفة الصفوة (3/ 347)

واعلم يا أخي أنه لا بد لي ولك من المقام بين يدي الله تعالى، يسألنا عن الدقيق الخفي وعن الجليل الخافي، ولست آمن أن يسألني وإياك عن وسواس الصدور، ولحظات العيون والإصغاء للاستماع، واعلم أنه لا يجزي من العمل القول، ولا من البذل العدة، ولا من التوقي التلاوم، ثم درجوك في الكفن وحملوك إلى بيت العفن على العيب القبيح والأفن، وإذا الحبيب من التراب قد حفن وصرت في القبر جذاذًا (لقد كنت في غفلة من هذا)، وَتَسَرَّبَتْ عَنْكَ الأَقَارِبُ تَسْرِي، تَقُدُّ فِي مَالِكَ وَتُفْرِي، وَغَايَةُ أَمْرِهِمْ أَنْ تَجْرِيَ دُمُوعُهُمْ رَذَاذًا {لقد كنت في غفلة من هذا}، قَفَّلُوا الأَقْفَالَ وَبَضَّعُوا الْبِضَاعَةَ، وَنَسُوا ذِكْرَكَ يَا حَبِيبَهُمْ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَبَقِيتَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، لا تَجِدُ وَزَرًا وَلا مَعَاذًا {لقد كنت في غفلة من هذا}، ثُمَّ قُمْتَ مِنْ قَبْرِكَ فَقِيرًا، لا تَمْلِكُ مِنَ الْمَالِ نَقِيرًا، وَأَصْبَحْتَ بِالذُّنُوبِ عَقِيرًا، فَلَوْ قَدَّمْتَ مِنَ الْخَيْرِ حَقِيرًا صَارَ مَلْجَأً وَمَلاذًا، {لقد كنت في غفلة من هذا}، وَنُصِبَ الصِّرَاطُ وَالْمِيزَانُ، وَتَغَيَّرَتِ الْوُجُوهُ وَالأَلْوَانُ، وَنُودِيَ: شَقِيَ فُلانُ بْنُ فُلانٍ، وَمَا تَرَى لِلْعُذْرِ نَفَاذًا {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا}، كَمْ بَالَغَ عَذُولُكَ فِي الْمَلامِ، وَكَمْ قَعَدَ فِي زَجْرِكَ وَقَامَ، فَإِذَا قَلْبُكَ مَا اسْتَقَامَ، قُطِعَ الْكَلامُ عَلَى ذَا {لَقَدْ كُنْتَ فِي غفلة من هذا}، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ[1].

وكتب محمد بن يوسف الأصبهاني العابد إلى بعض إخوانه: اقرأ من أقرأتنا منه السلام وتزود لأخراك وتجاف عن دنياك، واستعد للموت وبادر الفوت، واعلم أن أمامك أهوالًا وأفزاعًا قد أرهبت الأنبياء والرسل والسلام.

وعن رجل من قريش قال كتب رجل إلى أخ له:

أما بعد، فإن الدنيا حلم والآخرة يقظة، والمتوسط بينهما الموت ونحن في أضغاث أحلام.

---

(1) - التبصرة ـ لابن الجوزى (2/ 238)

وكتب الربيع بن خثيم إلى بعض إخوانه:

أن هيِّئ جهازك وكن وصيَّ نفسك، ولا تجعل أوصياءك الرجال.

وفي الحلية: أعد زادك وخُذ في جهازك وكن وصي نفسك.

ويعني بعدم وصية الرجال ألا يبقى عنده شيء من الدنيا فيوصي به.

وعن أبان بن سليم الصوري أنه كتب إلى بعض إخوانه: أما بعد، فإنك أصبحت تجدد الدنيا بطول أملك، وتتمنى على الله الأماني بسوء فعلك، وإنما صرت حديدًا بردًا، والسلام".

وعن الحجاج بن محمد قال: كتب إليَّ أبو خالد الأحمر في كتابه: إن الصديقين كانوا يستحيون من الله عز وجل أن يكون اليوم على منزلة الأمس).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أناس من أصحابه يوصيهم فقال: أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله العظيم والمراقبة له، واتخذوا التقوى والورع زادًا، فإنكم في دار عما قريب تنقلب بأهلها، والله في عرضات القيامة وأهوالها يسألكم عن الفتيل والنقير، فالله الله عباد الله اذكروا الموت الذي لا بد منه، واسمعوا قول الله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ } [آل عمران: 185]، وقوله عز وجل: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: 26]، وقوله عز وجل: {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [محمد: 27]، فقد بلغني ـ والله أعلم ـ أنهم يضربون بسياط من نار[1].

(1) -ا لتذكرة للقرطبي (ص: 20)

الباب التاسع: من وصايا حكماء الجاهلية:

[1] وصية أكثم بن صيفي لبنيه:

أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي: حكيم العرب في الجاهلية، وأحد المعمرين. عاش زمنا طويلا، وأدرك الإسلام، وقصد المدينة في مئة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، ولم ير النبي صلّى الله عليه وسلّم وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه.

وهو المعنيّ بالآية الكريمة (ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله)؛ أخباره كثيرة[1].

جمع أكثم بن صيفي بنيه قبل موته قال:

فقال: يا بنيَّ، قد أتت عليَّ مائتا سنة، وإني مزودكم من نفسي، عليكم بالبرِّ فإنه ينمي العدد، وكفُّوا السنتكم فإن مقتل الرجل فكَّيه، إن قول الحق لم يدع لي صديقًا، وإنه لا ينفع من الجزع التَّبكيّ، ولا مما هو واقع التَّوقّي، وفي طلب المعالي يكون الغرر، "ويقال: يكون العَوَرَ"، الاقتصاد في السعي أَبقى للجمال، ومن لا يأسى على ما فاته ودَّعَ بدنَه، ومن قنع بما هو فيه قرَّت عينه، التَّقدُّم قبل التَّندُّم، أن أُصبح عند رأس الأمر أُحبُّ من أن أُصبح عند ذنبه، لم يهلك من مالك ما وعظك، ويل لعالم أَمرٍ من جاهله، الوحشة ذهابُ الأَعلام " أي العظماء "، ويتشابه الأمر إذا أقبل، فإذا أَدبر عرفه الأحمق والكَيِّس، عند الرخاء حمق، والجزع عند النازلة آفة التجمل، ولا تغضبوا من اليسير فإنه يجني الكثير، لا تجيبوا فيما لا تسألون عنه، ولا تضحكوا مما لا يضحك منه، تناءوا في الديار ولا تباغضوا، فإن من يجتمع يتقعقع عمده، "أو عُمُدُه، يقالان جميعًا"، ولقد رأيت جبلًا مطلًّا تزايله حجارته، ولقد رأيته أَملس ما فيه صدع، أَلزموا النساء

---

(1) - الأعلام للزركلي (2/ 6)

المهانة، ولنعم لهو الحرَّة المغزل، وأَحمق الحُمق الفجور، وحيلة من لا حيلة له الصبرُ، إن كنت نافعي فورِّ عن عينك، إن تعش تر ما لم ترَ، قد أقرّ صامت، المكثار كحاطب الليل، ومن أَكثر أَسقط، والسَّروُ الظاهر الرَّياش، لا تبوُلُوا على أَكمة، ولا تفشوا سرًّا إلى أَمةٍ، من لم يرج إلا ما هو مستوجب له كان قمنًا أن يدرك حاجته، ولا تمنعنكم مساوي رجل من ذكر محاسنه[1].

[2] وصية القلمس لأشراف قومه:

القلمس بن أمية بن عوف الكناني، أبو ثمامة، من بني الحارث بن مالك ابن كنانة: آخر من نسأ الشهور في الجاهلية، والنسء في اللغة: التأخير، والنسيء المؤخر، وكانت العرب تؤخر أيامًا من كل سنة، ليكون حجها في وقت واحد، ثم اعتادت أن تنسأ بعض الشهور، ليحل لها القتال في الأشهر الحرم، وكان "النسء" يعلن أيام اجتماع الحجيج في "منى" تولى إعلانه القلمس وراثة عن أبيه، وأبوه عن جده، واستمر نحو أربعين سنة، وظهر الإسلام فأبطل ذلك، ويقال: كان اسمه "جنادة" والقلمس لقبه، ومعناه السيد أو الداهية البعيد الغور، يلقب به كل من تولى نسء الشهور.

وهو من الخطباء الوعاظ قبل الإسلام، قال ابن الجوزي: كان يخطب بفناء الكعبة، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها[2]، فقال: "يا معشر العرب، أطيعوني ترشدوا"، قالوا: وما ذاك؟ قال: "إنكم قوم تفرَّدتم بآلهة شتى، وإني لأعلم ما الله بكل هذا براض، وإن كان ربَّ هذه الآلهة، إنه ليحبُّ أن يعبد وحده"، فنفرت العرب عنه ذلك العام، ولم يسمعوا له موعظة، فلما حجّ من قابل اجتمعوا إليه، وهم مزورُّون عنه، فقال: " مالكم أيها الناس كأنكم تخشون

---

(1) - المعمرون والوصايا (ص:14)

(2) - الأعلام للزركلي (5/ 203)

مثل مقالتي عامًا أول، إني والله لو كان الله تعالى أمرني بما قلت لكم ما أعتبتكم ولا استعتبت، ولكنه رأى مني، فإذا أبيتم فأنتم أبصر، أوصيكم بخصلتين، الدّين والحسب، فأما الدين فلَّله، ومن أعطيتموه عهدًا ففُوا له، ومن أعطاكم عهدا فارعوا عهده حتى تردّوه إليه؛ فأما الحسب فبذل النَّوال".

فلما حضرته الوفاة حضره أشراف قومه من كنانة، ومات بمكة، فقالوا: قل نسمع، ومرنا نطِع، وأوصنا نقبل، وزوِّدنا منك زادًا نذكرك.

فقال: "أوصيكم بأحسابكم فإنها مقدم وافدكم، وشرفكم في محافلكم، وكفاف وجوهكم، وعنى معدمكم؛ وأوصيكم بالسائل إن كان منكم أن يسأل غيركم؛ وإن كان من سواكم وتيمّمكم فلا تخطُّنَّه ما رجا فيكم، واستوصوا بذوي أسنانكم خيرًا، أجملوا مخاطبتهم، وقدّموهم أمامكم، وزيّنوا بهم مجالسكم، وأوصيكم ببيوت الشرف فيكم، أقيموا لهم شرفهم، ولا تنزعوا الرئاسة منهم حتى لا تجدوا لها منهم أهلًا، وأوصيكم بالحرب، إن ظفرتم بقوم فابقوا فيهم، فإنه حسب لكم، ويد عند عدوِّكم، فإنّ من ظفرتم به فهو ظافر بكم لا بدّ، وهو عامل فيكم بما عملتم به فيه، فلا تقتلن أسيرًا فإنه ذحل عندكم ومصيبة فيكم، وإنما هو مال من مالكم، وإن الأسراء تجارة من تجارات العرب فلا تسألنَّ أسيركم فوق ما عنده فيموت في أيديكم، فلا يستأسر بعده أحدٌ بكم، وأكثروا العتاقة في أسراء العرب، ودعوا العرب ترجوكم وتستبقيكم.

وأوصيكم بالضيف، فإنّ كلًّا إذا قال لم يسمع منه حتى يقول الضيف، فلا يخرجنَّ من عندكم وهو يستطيع أن يقول فيكم، وأوصيكم بالجيران فأكرموهم، فلا تغشوا منازلهم، وليصحبهم ذوو أسنانكم، وامنعوا فتيانكم صحابتهم، وأوصيكم بالخفراء خيرًا فلا تغرِّموهم في غرمكم، وأغرموا في غرمهم فإنّهم عدّة لكم، يعينونكم ما داموا فيكم، وينقصونكم إذا فارقوكم ويعينون عليكم إذا

خرجوا من عندكم، وأوصيكم بأياماكم خيرا، شدُّوا حجبهن، وانكحوهن أكفاءهن، وأيسروا الصداق فيما بينكم، تنفق أياماكم ويكثر نسلكم، فإن نكحتم في العرب فاختاروا لكم ذوات العفاف والحسان أخلاقًا، فإنكم لما يكون منهم أحمد من غيركم، وإنهم راؤون فيمن بقي من نسائكم مثل ما رأوا فيمن جاءهم منهنّ، وإذا نكحتم الغريبة "يعني المرأة من غيركم"، فأعلوا صداقها، وتزوّجوا في أشراف القوام، ثم أكرموا مثوى صاحبتهم ما كانت فيكم، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها مالها، واصرفوها على أحسن حالاتها، لا تنقصوها من شيء يكون لها، فإن كريمة القوم إذا رجعت إليهم قليلا متاعها ظاهرة حاجتها غير راجعة فيكم غيرها.

وأوصيكم بالصِّلة، فإنها تديم الألفة وتسرّ الأسرة، وأحذِّركم القطيعة فإنها تورث الضغينة، وتفرِّق الجماعة، وإياكم والعجلة فإنها رأس السَّفه"[1].

[3] وصية قيس بن معد يكرب لأولاده:

ترجمته: قيس بن معدى كرب بن معاوية ابن جبلة الكندي، من قحطان: ملك جاهلي يماني، كان صاحب مرباع حضرموت، يلَّقب بالأشج، لأثر شجّ، في وجهه، ويكنى أباحجية وأبا الأشعث، وهو والد الأشعث بن قيس الكندي؛ (انظر ترجمته) ولد في مدينة (شبوة) بحضرموت، وخلف أباه في الملك، ومدحه الأعشى (ميمون)، واستمر في الملك نحو عشرين عامًا، ويقال له "السكسكي" نسبة إلى مخلاف "السكاسك" بأعالي حضرموت الغربية، ومات قتيلًا في إحدى وقائعه مع قبيلة "مراد"[2].

---

(1) -المعمرون والوصايا (110) وما بعدها

(2) - الأعلام للزركلي (5/ 208)

وأوصى قيس بن معد يكرب ولده، فقال: "باسمك اللهم، احفظوا أدبي يكفكم، واتَّبعوا وصاتي تلحقوا بصالح قومكم ويستعل أمركم، إنّي أكلكم إلى أدبي، وإن المعنيّ بكم لغائب " يعني نفسه "، الزموا ما يجمل، واقنوا حياءكم، وأطيعوا ذوي رأيكم، وأجلُّوا ذوي أسنانكم، ولا تعطوا الدنّية، وإن كان الصبر على خطَّة الضَّيم أبقي لكم، وتناصروا تكونوا حمى، وإذا نزلتم على قومكم فلتكن محلتكم واحدة، واهدروا الحسد يقطع عنكم النائرة، ودعوا المكافأة بالشر يحببكم الناس، وعفّوا عن الدناءة وأكرموا أهل الكفاءة، ولا تواكلوا الترافد والرياسة فيحلّ عطبكم، واتخذوا لأسراركم من علانيتكم حجابًا، ولا تدبروا أعجاز ما قد أدبرت صدوره، ولا تقيَّلوا الرأي بالظن فيبدع بكم، والزموا الأناة يفز قدحكم، وأطيلوا الصمت إلا فيما يعنيكم، ولا تأخذوا ختلًا، وخذوا صراحًا، فهناك عزُّ القرار، ومنعة الجار، واظعنوا في الأرض تبلغوا مأمنكم، ولا تعرضوا لنمائم النساء، وإياكم والغدر فإنه أحلَّني دار الغربة، واعتبروا"[1].

*****

[4] وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أسيد:

ترجمته: حُرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة، من عدوان، ينتهي نسبه إلى مضر: شاعر حكيم شجاع جاهلي. لقب بذي الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله فقطعها، ويقال: كانت له إصبع زائدة، وعاش طويلًا حتى عدّ في المعمرين، له حروب ووقائع وأخبار، وشعره مليء بالحكمة والعظة والفخر، قليل الغزل والمديح[2]؛ قال أبو عمرو: ولما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدًا، فقال له يا بني إن أباك قد فني وهو حي وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك

(1) - المعمرون والوصايا (ص: 39)

(2) - الأعلام للزركلي (2/ 173)

بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم، يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك واحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك وأسرع النهضة في الصريخ، فإن أجلًا لا يعدوك، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئًا، فبذلك يتم سوددك، ثم أنشأ يقول:

أَأَسيدُ إنْ مالًا مَلكتَ فسِرْ به سَيرًا جميلا

آخِ الكِرامَ إن استطعتَ إلى إخائهمُ سبيلا

واشرَب بكأسهمُ وإن شرِبوا به السُّمّ الثَّميلا

أهِنِ اللِّئام ولا تكنْ لإخائهم جَمَلًا ذَلُولا

إنَّ الكرام إذا تُواخيهِمْ وجدتَ لهم فُضولا

ودَع الذي يَعِد العَشيرة أن يسيلَ ولن يَسيلا

أبُنيّ إن المال لا يَبْكي إذا فقَد البخيلا

أَأَسيدُ إن أزمعتَ من بلدٍ إلى بلدٍ رَحيلا

فاحفظْ وإن شَحط المَزارُ أَخا أخيك أو الزَّميلا

واركَب بنفسك إن هَمَمْتَ بها الحزونةَ والسّهولا

وصِلِ الكرام وكُن لمن تَرجو مَودّته وَصولا

الغناء للهذلي خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو

ودَعِ التَّوانِيَ في الأمور وكن لها سَلِسًا ذَلُولا

وابسُطْ يمينَكَ بالنَّدَى وامْدُدْ لها باعًا طويلا

وابسُطْ يَدَيكَ بما مَلَكْت وشَيِّدِ الحسَبَ الأَثِيلا

واعْزِمْ إذا حاولتَ أمرًا يَفْرِجُ الهمَّ الدَّخِيلا

وابذُلْ لِضيفكَ ذاتَ رَحْلِك مُكرِمًا حتّى يَزُولا

واحلُلْ على الأَيْفَاعِ للعافِين واجتَنِبِ المَسِيلا

وإذا القُرُومُ تخاطَرتْ يومًا وأرعَدَتِ الخَصِيلا

فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّبَ مِن فَريستهِ التَّلِيلا

وأنزِلْ إلى الهيجَا إذا أبطالُها كَرِهوا النزولا

وإذا دُعِيتَ إلى المُهِم فكن لفَادِحِهِ حَمُولا [1]

[5] وصية عامر بن الظرب لقومه:

ترجمته: عامر بن الظرب بن عمرو بن عياذ العدوانيّ: حكيم، خطيب، رئيس، من الجاهليين، كان إمام مضر وحكمها وفارسها، وممن حرم الخمر في الجاهلية، وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهمًا ولا بحكمه حكمًا، وهو أحد المعمرين في الجاهلية، وأول من قرعت له العصا، وكان يقال له (ذو الحلم)، وفيه قول الشاعر: (إن العصا قرعت لذي الحلم)[2].

فلما كبر عامر وتخوَّف قومه أن يموت اجتمعوا إليه، فقالوا له، يا سيدنا وشريفنا، أوصِنا.

---

(1) - الأغاني (3/ 95/97)

(2) - الأعلام للزركلي (3/ 252)

فقال: "يا معشر عدوان، كلفتموني تعبًا، إن القلب لم يخلق، ومن لك بأخيك كلِّه، إن كنتم شرَّفتموني فقد التمست ذلك منكم، وإني قد أريتكم ذلك من نفسي، وأنّي لكم مثلي، افهموا عني ما أقول لكم من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل، ولم يزل الباطل ينفر من الحق، لا تفرحوا بالعلق ولا تشمتوا بالزلّة، وبكل عيش يعيش الفقير، ومن ير يوما ير به، وأعدّوا لكل أمر قدره، قبل الرِّماء تملأُ الكنائن، ومع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامة، فلا تذموا العقوبة، واليد العليا معها عافية، والقود راحة لا عليك ولا لك، وإذا شئت وجدت مثلك، إنَّ عليك كما أَنّ لك، وللكثرة الرُّعب وللصبر الغلبة، من طلب شيئًا وجده، وإلاّ يجده يوشك أن يقع قريبًا منه.

فيا معشر عدوان، إياكم والشر فإن له باقية، وادفعوا الشر بالخير يغلبه، إنه من دفع الشرَّ بالشرِ رجع الشرُّ عليه، وليس في الشرِ أسوة، ومن شبقكم إلى خير فاتبعوا أثره تجدوا فضلًا، إن خالق الخير والشر وسعهما، ولكل يد منهما نصيب.

يا معشر عدوان، إن الأوّل كفى الآخر، فمن رأيتموه أصابه شر فإنما أصابه فعله، فاجتنبوا ذلك الذي فعله، يا معشر عدوان، إن الشرّ ميّت، وإنما يأتيه الحيّ فيصيبه، ومن اجتنب الشرّ لم يثب الشرُّ عليه؛ يا معشر عدوان، إن الخير عزوف ألوف، ولم يفارق الخير صاحبه حتى يفارقه ولن يرجع إليه حتى يأتيه؛ يا معشر عدوان، ربُّوا صغيركم، واعتبروا بالناس ولا يعتبر الناس بكم، وخذوا على أيدي سفهائكم تقلل جر أثركم، وإياكم والحسد فإنه شؤم ونكد، وإن كلَّ ذي فضل واجد أفضل منه، ومن بلغ منكم خطَّة خير فأعينوه واطلبوا مثلها، ورغِّبوه في نيّته، وتنافسوا في طريقته، ومن قصّر فلا يلومنّ إلا نفسه، وإني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا تصدَّقوا.

"يقول من لزم الصدق وعوّده لسانه وفِّق فلا يكاد يتكلم بشيء يظنّه إلا جاء على ظنّه".

وإنّي رأيت للخير طرقًا فسلكتها، ورأيت للشرّ طرقًا فاجتنبتها، وإني والله ما كنت حكيمًا حتى تبعت الحكماء، وما كنت سيِّدكم حتى تعبّدت لكم، إن الموعظة لا تنفع إلا عاقلًا، وإن لكلّ شيء داعيًا، فأجيبوا إلى الحق وادعوا إليه وأذعنوا له"[1].

[6]وصية مالك بن المنذر البجلي لابنه:

ترجمته: مالك بن المنذر احد المعمرين في الجاهلية وكان قد أصاب دمًا في قومه، فخرج هاربًا بأهله حتى أتى بهم بني هلال، فلما احتضر أوصى بنيه، وأمرهم أن يعطوا قومه النِّصف من حدثه الذي أَحدثه فيهم، وقال: "يا بني، قد أتت عليّ ستون ومائة سنة ما صافحت بيميني يمين غادر، ولا قنعت نفسي بخلّة فاجر، ولا صبوت بابنه عم لي ولا كنَّة، ولا طرحت عندي مومسة قناعها، ولا بحثُ لصديق لي بسرِّي، وإني لعلي دين شعيب النسبي، صلى الله عليه وسلم، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمة، وتميم بن مرّ، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي، إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته، ولا يحل بكم الدمار، وتوحش منكم الديار.

يا بني، كونوا جميعًا، ولا تفرقوا، فتكونوا شيعًا، فإنّ موتًا في عزّ خير من حياة في ذلٍّ وعجز، وكلُّ ما هو كائن كائن، وكل جمع إلى تباين، الدهر صرفان، فصرف رخاء، وصرف بلاء، واليوم يومان، فيوم حبره، ويوم عبره، والناس رجلان، فرجل معك، ورجل عليك، وزوّجوا الأكفاء، وليستعملن في طيبهنّ الماء، وتجنّبوا الحمقاء، فإن ولدها إلى أفن ما يكون، إنه لا راحة لقاطع "يعني القرابة".

---

(1) - المعمرون والوصايا (ص: 59)

وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوَّهم، وآفة العدد اختلاف الكلمة، التفضل بالحسنة يقي السيئة، والمكافأة بالسيئة الدخول فيها، العمل بالسوء يزيل النعماء، وقطيعة الرحم تورث إلمام الهمّ، وانتهاك الحرمة تزيل النعمة، عقوق الوالدين يعقب النكد، ويمحق العدد، ويخرب البلد، النصيحة لا تهجم على الفضيحة، احتمال الحقد يمنع الرِّفد، لزوم الخطية يعقب البلية، سوء الرِّعة يقطع أسباب المنفعة، الضغائن تدعو إلى التباين.

ثم قال:

أكلت شبابي فأفنيته = وأمضيت بعد دهور دهورا

ثلاثة أهلين صاحبتهم = فبادوا وأصبحت شيخًا كبيرا

قليل الطَّعام، عسير القيا =م قد ترك الدَّهر قيدي قصيرا

أبيت أراعي نجوم السَّما = ءِ، أقلِّب أمري، بطونًا ظهورا[1]

[1] وصية سعيد العشيرة لبنيه:

ترجمته: سعد العشيرة بن مالك بن أدد، من كهلان، من القحطانية: جدّ جاهلي، بنوه عدة بطون: الحكم، وصعب، وجعفي، وزيد الله، ونمرة، وجسر، وعائذ الله، وسُمي (سعد العشيرة)؛ لأنه كان يركب ومعه أبناؤه وأبناء أبنائه، وهم نحو مئة رجل، فإذا سئل عنهم يقول: هؤلاء عشيرتي

وأوصي سعد العشيرة بنيه لما حضرته الوفاة، فقال:

"يا بني، اتقوا إلهكم بالليل والنهار

وإيّاكم وما يدعو إلى الاعتذار

---

(1) - المعمرون والوصايا (ص: 125/123)

ودعوا قفو المحصنات تسلم لكم الأمهات

وإياكم والبغي على قومكم تعمر لكم الساحات

ودعوا المراء والخصام تسلم لكم المروءة والأحلام

تحبَّبوا إلى العشائر تهبكم العمائر

وجودوا بالنوال تنم لكم الأموال

وإياكم ونكاح الورهاء [1]فإنها أدوأ الداء

وأبعدوا من جار السوء داركم

ومن قرين الغيّ مزاركم

ودعوا الضغائن فإنها تدعو إلى التباين

ولا تكونوا لآبائكم ضرَّارًا

حيَّاكم ربكم، وسدَّد أمركم"[2].

---

(1) -الورهاء: الحمقاء

(2) -المعمرون (ص: 122)

المراجع[1]

1-أحكام الجنائز لمحمد ناصر الدين الألباني.
2-الإخوان لابن أبي الدنيا.
3-الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
4- الإصابة لابن حجر العسقلاني.
5-الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام عبد الحي بن فخر الدين الحسني الطالبي.
6-الأعلام للزركلي.
7-الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني.
8-أنساب الأشراف لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري.
9-أهوال القبور لابن أبي الدنيا.
10- البداية والنهاية لابن كثير ط هجر.
11- تاريخ الإسلام للذهبي ط التوفيقية.
12- تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري للطبري.
13- تاريخ اليعقوبي.
14- التبصرة لابن الجوزي.
15- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ط العصرية.
16- تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي.
17- تفسير ابن كثير-ط دار طيبة.
18- تهذيب الكمال يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي.
19- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة السعدي رحمه الله (ط مؤسسة الرسالة).

---

(1) -المراجع مرتبة ترتيب ابجدي

20- الثبات عند الممات لابن الجوزي.
21- جواهر الأدب لأحمد الهاشمي.
22- حسن الظن لابن أبي الدنيا.
23- حلية الأولياء لأبي نعيم.
24- حياة الصحابة للكاندهلوي.
25- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب بنت علي بن حسين العاملي.
26- الزهد لابن المبارك.
27- سكب العبرات لسيد حسين العفاني.
28- السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني.
29- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني.
30- سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني.
31- سنن أخرجه الترمذي لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي.
32- سنن الدارمي لعبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي.
33- سير أعلام النبلاء للذهبي.
34- شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي.
35- صحيح ابن حبان لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي.
36- صحيح الأدب المفرد لمحمد ناصر الدين الألباني.
37- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي.
38- صحيح الترغيب والترهيب لمحمد ناصر الدين الألباني.
39- صحيح الجامع لمحمد ناصر الدين الألباني.

40- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري.
41- طبقات ابن سعد لمحمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري.
42- طبقات الشافعية الكبرى تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي.
43- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.
44- فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل.
45- الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني.
46- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة لنجم الدين محمد بن محمد الغزي.
47- المجالسة وجواهر العلم أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي.
48- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية.
49- المحتضرين لابن أبي الدنيا.
50- مختصر تاريخ دمشق لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور.
51- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان س الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي».
52- مروج الذهب للمسعودي.
53- مستدرك أخرجه الحاكم.
54- مسند أحمد ط الرسالة.
55- مسند الحميدي.
56- مصنف عبد الرزاق.

57- مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا.

58- موطأ الإمام مالك.

59- وصايا العلماء عند حضور الموت.

60- وصايا العلماء عند حضور الموت لابن زبر الربعي.

المحتويات

المقدمة:.....4
الباب الأول: من وصايا الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: 7
أولًا: وصية نوح عليه السلام: 7
ثانيًا: وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام: 8
ثالثًا: وصايا النبي صلى الله عليه وسلم عند الموت: 8
الوصية الأولى: مخالفة اليهود والنصارى والتحذير من اتخاذ القبور مساجد: 8
الوصية الثانية: الوصية بالصلاة: 9
الوصية الثالثة: أوصى بعدم قراءة القران في الركوع والسجود: 9
الوصية الرابعة إنفاذ بث أسامة رضي الله عنه: 10
الوصية الخامسة إخراج المشركين من جزيرة العرب: 10
الوصية السادسة: إن الأنبياء لا يورَّثون وإن ما تركوه صدقة: 11
الوصية الثامنة: الوصية بالأنصار رضي الله عنهم: 11
الوصية الثامنة: لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: 12
الوصية التاسعة أوصى عثمان بالصبر على البلاء: 12
الوصية العاشرة الزهد في الدنيا: 13
الباب الثاني: صور من وصايا ممن كان قبلنا: 13
وصية رجل ممن كان قبلنا رحمه الله: 13
وصية رجل آخر ممن كان قبلنا: 14
وصية ذي القرنين عليه السلام: 15
وصية بهرام ملك فارس: 15
الباب الثالث: صور من وصايا الصحابة رضي الله عنهم أجمعين: 16

وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه: 16
الوصية الثانية: لأبي بكر رضي الله عنه: 17
الوصية الثالثة: لأبي بكر رضي الله عنه: 18
وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: 18
وصية عثمان بن عفان رضي الله عنه: 19
وصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه: 20
وصية سمرة بن جندب رضي الله عنه: 21
وصية خالد بن الوليد رضي الله عنه: 22
وصية عبادة بن الصامت رضي الله عنه: 23
وصية عبد الله بن حرام رضي الله عنه: 24
وصية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: 25
وصية العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: 25
وصية أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: 26
وصية المثنى بن حارثة رضي الله عنه: 26
وصية أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه: 26
وصية سعيد بن العاص رضي الله عنه: 27
وصية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: 27
وصية الزبير بن العوام رضي الله عنه: 28
وصية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: 28
وصية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: 29
وصية سلمان الفارسي رضي الله عنه: 29
وصية سعد بن الربيع رضي الله عنه: 30
وصية أبي هريرة رضي الله عنه: 30
وصية ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه: 30

وصية عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: 32
وصية قيس بن عاصم المنقري رضي الله عنه: 33
وصية أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: 33
وصية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: 35
وصية أبي الدرداء رضي الله عنه: 35
وصية عائشة رضي الله عنها: 35
وصية عمرو بن العاص رضي الله عنه: 35
وصية سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنه: 36
صور من وصايا التابعين عند الموت رحمهم الله: 38
وصية علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه: 38
وصية سعيد بن المسيب رحمه الله: 38
وصية علقمة بن قيس رحمه الله: 39
وصية عطاء بن أبي رباح رحمه الله: 39
وصية عمر بن عبد العزيز رحمه الله: 39
وصية الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: 41
وصية الخليفة المفتون بفتنة خلق القرآن المأمون: 42
وصية أبي حازم رحمه الله: 42
وصية بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: 43
وصية أم شبيب بن شيبة رحمه الله: 43
وصية أبي العتاهية رحمه الله: 43
وصية العلاء بن اللجلاج رحمه الله: 44
وصية عمر بن الحسين الجمحي رحمه الله: 44
وصية مالك بن دينار رحمه الله: 44
وصية يونس بن عبيد رحمه الله: 45

وصية عطاء بن مسلم الخرساني رحمه الله: 45
وصية عابدة من عابدات الشام رحمه الله: 46
وصية الإمام بن جرير الطبري رحمه الله: 47
وصية جمال الدين التبريزي رحمه الله: 48
وصية إبراهيم أحد موالي الروم رحمه الله: 48
وصية محمد بن عمر المعلم رحمه الله: 48
وصية صالح بن مسمار رحمه الله: 49
وصية أبي بكر الواسطي رحمه الله: 49
وصية داود بن أبي هند رحمه الله: 49
وصية الإمام البخاري رحمه الله: 50
وصية أبي سهل كثير بن زياد البصري رحمه الله: 51
وصية حميد بن عبد الرحمن الحميري رحمه الله: 51
وصية الإمام محمد بن سيرين رحمه الله: 51
وصية ذي الإصبع لابنه رحمه الله: 52
وصية يزيد الرقاشي رحمه الله: 52
وصية قاضي المدينة أبي طوالة رحمه الله: 53
وصية أبي يعلى محمد بن السين الفراء رحمه الله: 53
وصية أبي بكر بن حبيب رحمه الله: 53
وصية الإمام ابن الجوزي شيخ الوعاظ رحمه الله: 54
وصية الإمام أبي محمد بن عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رحمه الله: 54
وصية أبي جعفر الهاشمي عبد الخالق بن عيسى العباسي رحمه الله: 55
وصية الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله: 56
وصية علقمة العطاردي رحمه الله: 58

وصية أبي طالب المكي محمد بن علي عطية رحمه الله: 59
وصية علي بن عيسى بن سليمان أبي الحسن الفارسي المعروف رحمه الله: 59
وصية تائب إلى الله رحمه الله: 60
وصية معروف بن الفيرزان الكرخي رحمه الله: 60
وصية السري بن المغلس السقطي رحمه الله: 61
وصية إبراهيم بن هانئ رحمه الله: 61
وصية عبد الله بن المبارك رحمه الله: 61
وصية محمد بن أسلم أبي الحسن الطوسي رحمه الله: 62
وصية رابعة العدوية رحمه الله: 62
وصية حبيب أبي محمد الفارسي رحمه الله: 63
وصية محمد بن واسع رحمه الله: 64
وصية سليمان بن مهران الأعمش الأسدي رحمه الله: 64
وصية الخليفة عبد الملك بن مروان رحمه الله: 64
وصية الخليفة سليمان بن عبد الملك رحمه الله: 66
وصية عبد الله بن شداد لابنه رحمه الله: 67
وصية أحد الوزراء رحمه الله: 70
وصية تائب -رحمه الله-: 71
وصية شاب تائب إلى الله رحمه الله: 71
الباب الخامس: كيف تكب وصيتك: 73
الوصية الشخصية: 73
الباب السادس: رصيدك بعد موتك: 89
القربات النافعة للأموات: 91
حكم قراءة القرآن ووهبها للميت: 96

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الباب السابع: وصايا نبوية متعلقة بالموت: 99
الوصية الأولى: الإكثار من ذكر الموت والحكمة منه: 99
الوصية الثانية: النهي عن تمني الموت: 101
متى يجوز تمني الموت؟ 102
الوصية الثالثة: زيارة القبور: 104
الوصية الرابعة: كحسن الظن بالله: 107
الوصية الخامسة: تلقين الميت "لا إله إلا الله": 110
الوصية السادسة: الدعاء عند الميت بالخير: 112
الوصية السابعة: الإسراع بالجنازة: 113
الوصية الثامنة: الصبر عند الصدمة الأولى: 114
الباب الثامن: وصيتي إليك أخي المسلم:..... 115
الباب التاسع: من وصايا حكماء الجاهلية: 120
المراجع 131

شبكة الألوكة - قسم الكتب